الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة -

كلية أصول الدين
قسم الكتاب والسنة

الأستاذ الدكتور

الجمعي شبايكي

التفسير المقارن

سنة أولى ماستر

تخصص : تفسير وعلوم القرآن

السنة الجامعية : 1440هـ - 1441هـ / 2019م - 2020م

مدخل إلى التفسير المقارن

يعتبر البحث المقارن من البحوث المقبولة والمتداولة في ميدان البحث العلمي الأكاديمي، فكثيرا ما تعترضنا بحوث مقارنة بين شخصيتين (عبد الحميد بن باديس وسعيد النورسي: دراسة مقارنة) أو بين كتابين أو منهجين (مقارنة بين تفسير ابن كثير والشوكاني) أو اتجاهين (الاتجاه الأثري والاتجاه العقلي)، فما المقصود بالتفسير المقارن؟ وما الفرق بين الموازنة والمقابلة والمقارنة؟

الفرق بين الموازنة والمقابلة والمقارنة

أولا: الموازنة

{وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ}: كالوهم بالمكيال ووزنوهم بالموازين أو زنوا الشيء بشيء مماثل.

في المعجم: المعجم الوسيط

1. وَازَنَ: وَازَنَ بين الشَّيئين ، مُوازنةً ، ووزاناً : ساوَى وعادَلَ .
   و وَازَنَ الشيءُ الشيءَ : ساوه في الوَزْن .
   ووَازَنَ عادله . و قابله . وحاذاه .اهـ
2. ووزان أي نظر أيهما أوزن أو أثقل.

وبالتالي فالموازنة في الاصطلاح العلمي تكون بين شخصيات علمية أو إنتاج علمي من خلال دراسة أوجه التشابه والاختلاف، بحيث يكون الهدف منها معرفة أيهما أثقل وأوزن في الميدان العلمي. لهذا سمى الآمدي كتابه بـ: [الموازنة بين أبي تمام والبحتري].

الثاني: المقابلة

قابلَ يقابل ، مُقابَلةً ، فهو مُقابِل ، والمفعول مُقابَل – للمتعدِّي

قَابَلَهُ : لَقِيَهُ بوجهه، ومنه قابله بالحقيقة أي واجهه، وقابل المسؤول أي لقيه

وقابَل بين نصّين : قارن بينهما

والمقابلة في الدراسات العلمية هي مقابلة النصوص الفكريّة بعضها لبعض لمعرفة مناط القوّة والتأثير والتأثّر فيها، وتطلق بوجه خاص على مقابلة الباحث مع افراد العيّنة محل الدراسة.

الثالث: المقارنة

قرن بين الشيئين أي جمع بينهما ومنه قرن بين الزوجين أي جمع بينهما بعقد الزواج، وقرن بين الحج والعمرة أي جمع بينهما.

وقيل: يعرف المرء بأقرانه؛ يقصد من يجتمع بهم أو يتّصل بهم.

يقول طرفة بن العبد:
عن المرء لاتسأل وسل عن قرينه فكلُّ قرين بالمقارن يقتدي

وفي المجال العلمي، يقال الأدب المقارن، ويقصد به دراسة الآداب المختلفة وصلاتها في حاضرها وماضيها، وما لهذه الصلاة من تأثير وتأثر، ويقال: الفقه المقارن ويقصد به العلم الذي يبحث في مسألة فقهية معيّنة ضمن مذاهب إسلاميّة محددة وبمنهجية أصولية خاصة. ويقال علم مقارنة الأديان، ويقصد به العلم الذي يدرس الأديان من حيث التشابه والاختلاف بينها وصلاتها ببعضها ومناحي التأثير والتأثر.

وبالجملة فالدراسات المقارنة تعنى بجمع أعمال فكرية معيّنة لمعرفة نقاط الاختلاف والاتفاق في مسألة معيّنة

وعليه فالتفسير المقارن هو: جمع تفسيرين أو تفاسير محدّدة لدراسة مسألة أو آية معيّنة وفق منهج خاص.

وقد يتضمن التفسير المقارن عند البعض الموازنة بين التفاسير وهو غير صحيح لأن المقارنة (ق ر ن) تفيد فقط الجمع والمصاحبة والمحاذاة ولا تفيد وزن الشيء وتقديره، ولذلك نقول: إن الموازنة أعم من المقارنة، لأن الموازنة تتطلب المقارنة وليس العكس.

ويبدو أن كثرة استعمال مصطلح المقارنة في الدراسات المتقابلة ضمن مفهوم الموازنة وسع مجال استعماله ليؤدي في الأخير معنى الاثنين معا بالرغم من أن مصطلح الموازنة أوسع وأدق من مصطلح المقارنة، فإذا قصدنا التقدير والوزن بالبحث في أوجه الاتفاق والتباين ومناقشة ذلك ضمن منهجية علمية، ثم الوصول في الأخير إلى الترجيح بين تلك الآراء المتقابلة يستحسن استعمال لفظ الموازنة بدلا من المقارنة التي شاع استعمالها في محل الموازنة، والله أعلم.

أهداف التفسير المقارن:

1. التفسير المقارن يميز بين التفسير الصحيح والتفسير الخطأ والتفسير القوي والتفسير الضعيف.
2. التعرف على أسباب الاختلاف بين المفسرين.
3. التعرف على أدلة كل مفسّر.
4. التعرف على المناهج والاتجاهات التفسيرية.
5. التوصّل إلى التفرقة بين الدين وفهم الدّين.

نماذج تطبيقية:

1) الآية الأولى: ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ﴾ (آل عمران:124– 125)

تفسير جامع البيان في تفسير القرآن: الطبري (310 هـ)

يعني تعالى ذكره }:وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ] { آل عمران: 123] إذ تقول للمؤمنين بك من أصحابك: { أَلَنْ يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاَثَةِ ءالاَفٍ مِّنَ ٱلْمَلٰئِكَةِ مُنزَلِينَ } وذلك يوم بدر. ثم اختلف أهل التأويل في حضور الملائكة يوم بدر حربهم، في أيّ يوم وعدوا ذلك؟ فقال بعضهم: إن الله عزّ وجلّ كان وعد المؤمنين يوم بدر أن يمدّهم بملائكته إن أتاهم العدوّ من فورهم، فلم يأتوهم، ولم يمدّوا. ذكر من قال ذلك: حدثني حميد بن مسعدة، قال: ثنا بشر بن المفضل، قال: ثنا داود، عن عامر، قال: حدث المسلمون أن كرز بن جابر المحاربي يمدّ المشركين، قال: فشقّ ذلك على المسلمين، فقيل لهم} :أَلَنْ يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاَثَةِ ءالاَفٍ مِّنَ ٱلْمَلٰئِكَةِ مُنزَلِينَ بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُمْ مّن فَوْرِهِمْ هَـٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ ءالافٍ مّنَ ٱلْمَلَئِكَةِ مُسَوّمِينَ} قال: فبلغت كرزاً الهزيمة فرجع، ولم يمدّهم بالخمسة. حدثني ابن المثنى، قال: ثنا عبد الأعلى، قال :ثنا داود، عن عامر، قال: لما كان يوم بدر، بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم ذكر نحوه، إلا أنه قال: { وَيَأْتُوكُمْ مّن فَوْرِهِمْ هَـٰذَا :{يعني كرزاً وأصحابه، {يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ ءالافٍ مّنَ ٱلْمَلَئِكَةِ مُسَوّمِينَ} قال: فبلغ كرزاً وأصحابه الهزيمة، فلم يمدّهم، ولم تنزل الخمسة، وأمدّوا بعد ذلك بألف، فهم أربعة آلاف من الملائكة مع المسلمين. حدثني محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر الحنفي، عن عباد، عن الحسن في قوله: {إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاَثَةِ ءالاَفٍ مّنَ ٱلْمَلَئِكَةِ}... الآية كلها، قال: هذا يوم بدر. حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن داود، عن الشعبي، قال: حدث المسلمون أن كرز بن جابر المحاربي يريد أن يمدّ المشركين ببدر، قال: فشقّ ذلك على المسلمين، فأنزل الله عزّ وجلّ: {أَلَنْ يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ... } إلى قوله: {مّنَ ٱلْمَلَئِكَةِ مُسَوّمِينَ} قال: فبلغته هزيمة المشركين فلم يمدّ أصحابه، ولم يمدّوا بالخمسة. وقال آخرون: كان هذا الوعد من الله لهم يوم بدر، فصبر المؤمنون واتقوا الله، فأمدّهم بملائكته على ما وعدهم. ذكر من قال ذلك: حدثنا أبو كريب، قال: ثنا يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، قال: ثني عبد الله بن أبي بكر، عن بعض بني ساعدة، قال: سمعت أبا أسيد مالك بن ربيعة بعد ما أصيب بصره يقول: لو كنت معكم ببدر الآن ومعي بصري لأخبرتكم بالشِّعْب الذي خرجت منه الملائكة، لا أشك ولا أتمارى. حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: قال ابن إسحاق، وثنى عبد الله بن أبي بكر، عن بعض بني ساعدة، عن أبي أسيد مالك بن ربيعة، وكان شهد بدراً أنه قال بعد إذ ذهب بصره: لو كنت معكم اليوم ببدر، ومعي بصري، لأريتكم الشِّعْبَ الذي خرجت منه الملائكة لا أشك ولا أتمارى.

حدثنا ابن حميد، قال :ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: ثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث عن ابن عباس، أن ابن عباس، قال: ثني رجل من بني غفار، قال: أقبلت أنا وابن عمّ لي حتى أصعدنا في جبل يشرف بنا على بدر، ونحن مشركان ننتظر الوقعة على من تكون الدَّبْرة، فننتهب مع من ينتهب. قال: فبينا نحن في الجبل، إذ دنت منا سحابة، فسمعنا فيها حمحمة الخيل، فسمعت قائلاً يقول: أَقْدِمْ حيزوم! قال: فأما ابن عمي فانكشف قناع قلبه، فمات مكانه، وأما أنا فكدت أهلك، ثم تماسكت. حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: وثني الحسن بن عمارة، عن الحكم بن عتيبة، عن مقسم، مولى عبد الله بن الحرث، عن عبد الله بن عباس، قال: لم تقاتل الملائكة في يوم من الأيام سوى يوم بدر، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عدداً ومدداً لا يضربون. حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: قال محمد بن إسحاق، حدثني أبي إسحاق بن يسار، عن رجال من بني مازن بن النجار، عن أبي داود المازني، وكان شهد بدراً، قال: إني لأتبع رجلاً من المشركين يوم بدر لأضربه إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفت أن قد قتله غيري. حدثني ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: قال محمد: ثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس، عن عكرمة مولى ابن عباس، قال: قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم: كنت غلاماً للعباس بن عبد المطلب، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت، فأسلم العباس، وأسلمت أمّ الفضل وأسلمت، وكان العباس يهاب قومه، ويكره أن يخالفهم، وكان يكتم إسلامه، وكان ذا مال كثير متفرّق في قومه. وكان أبو لهب عدوّ الله قد تخلف عن بدر، وبعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة، وكذلك صنعوا لم يتخلف رجل إلا بعث مكانه رجلاً. فلما جاء الخبر عن مصاب أصحاب بدر من قريش، كبته الله وأخزاه، ووجدنا في أنفسنا قوّة وعونة، قال: وكنت رجلاً ضعيفاً، وكنت أعمل القداح أنحتها في حجرة زمزم. فوالله إني لجالس فيها أنحت القداح، وعندي أمّ الفضل جالسة وقد سرّنا ما جاءنا من الخبر، إذ أقبل الفاسق أبو لهب يجرّ رجليه بشرّ، حتى جلس على طُنُب الحجرة، فكان ظهره إلى ظهري، فبينا هو جالس إذ قال الناس: هذا أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب، قد قدم.

قال: قال أبو لهب :هلم إليّ يا ابن أخي، فعندك الخبر! قال: فجلس إليه، والناس قيام عليه، فقال: يا ابن أخي أخبرني كيف كان أمر الناس! قال لا شيء والله إن كان إلا أن لقيناهم، فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا ويأسروننا كيف شاءوا وأيم الله مع ذلك ما لمت الناس، لقينا رجالاً بيضاً على خيل بلق ما بين السماء والأرض ما يليق لها شيء، ولا يقوم لها شيء، قال أبو رافع :فرفعت طنب الحجرة بيدي ثم قلت: تلك الملائكة. حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد، قال: ثني الحسن بن عمارة، عن الحكم بن عتيبة، عن مقسم، عن ابن عباس، قال: كان الذي أسر العباس أبا اليسر كعب بن عمرو أخا بني سَلِمة، وكان أبو اليسر رجلاً مجموعاً، وكان العباس رجلاً جسيماً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي اليسر " :كَيْفَ أَسَرْتَ العَبَّاسَ أبا اليُسْرِ؟ " قال: يا رسول الله، لقد أعانني عليه رجل ما رأيته قبل ذلك ولا بعده، هيئته كذا وكذا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " :لَقَدْ أعانَكَ عَلَيْهِ مَلَكٌ كَرِيمٌ " حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: {أَلَنْ يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاَثَةِ ءالاَفٍ مِّنَ ٱلْمَلئِكَةِ مُنزَلِينَ} أمدّوا بألف، ثم صاروا ثلاثة آلاف، ثم صاروا خمسة آلاف.{بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُمْ مّن فَوْرِهِمْ هَـٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ ءالافٍ مّنَ ٱلْمَلَئِكَةِ مُسَوّمِينَ} وذلك يوم بدر، أمدّهم الله بخمسة آلاف من الملائكة. حُدثت عن عمار، عن ابن أبي نجيح، عن أبيه، عن الربيع، بنحوه. حدثني محمد بن سعد، قال :ثني أبي، قال: ثني عمي، عن

أبيه، عن ابن عباس في قوله: {يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ ءالافٍ مِّنَ ٱلْمَلَئِكَةِ مُسَوِّمِينَ} فإنهم أتوا محمداً صلى الله عليه وسلم مسوّمين. حدثني محمد بن بشار، قال: ثنا سفيان، عن ابن خثيم، عن مجاهد، قال: لم تقاتل الملائكة إلا يوم بدر. وقال آخرون: إن الله عزّ وجلّ إنما وعدهم يوم بدر أن يمدّهم إن صبروا عند طاعته، وجهاد أعدائه واتقوه باجتناب محارمه، أن يمدهم في حروبهم كلها، فلم يصبروا ولم يتقوا إلا في يوم الأحزاب، فأمدّهم حين حاصروا قريظة. ذكر من قال ذلك: حدثني محمد بن عمارة الأسدي، قال: ثنا عبد الله بن موسى، قال: أخبرنا سليمان بن زيد أبو آدم المحاربي، عن عبد الله بن أبي أوفى، قال: كنا محاصري قريظة والنضير ما شاء الله أن نحاصرهم، فلم يفتح علينا، فرجعنا. فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته يغسل رأسه، إذ جاءه جبريل صلى الله عليه وسلم، فقال: يا محمد وضعتم أسلحتكم، ولم تضع الملائكة أوزارها! فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخرقة، فلفّ بها رأسه ولم يغسله، ثم نادى فينا، فقمنا كالزمعين لا نعبأ بالسير شيئاً، حتى أتينا قريظة والنضير، فيومئذٍ أمدّنا الله عزّ وجلّ بثلاثة آلاف من الملائكة، وفتح الله لنا فتحاً يسيراً، فانقلبنا بنعمة من الله وفضل.

وقال آخرون بنحو هذا المعنى، غير أنهم قالوا: لم يصبر القوم، ولم يتقوا، ولم يمدّوا بشيء في أُحُد. ذكر من قال ذلك: حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: ثني عمرو بن دينار، عن عكرمة، سمعه يقول: {بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُمْ مّن فَوْرِهِمْ هَـٰذَا} قال: يوم بدر قال: فلم يصبروا ولم يتقوا، فلم يمدّوا يوم أُحُد، ولو مدّوا لم يهزموا يومئذٍ. حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، قال: سمعت عكرمة يقول: لم يمدّوا يوم أحد ولا بملك واحد. أو قال: إلا بملك واحد، أبو جعفر يشكّ. حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: سمعت عبيد بن سليمان، عن الضحاك، قوله: {أَلَنْ يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاَثَةِ ءالاَفٍ} إلى: {خَمْسَةِ ءَالاَفٍ مِّنَ ٱلْمَلَئِكَةِ مُسَوِّمِينَ} كان هذا موعداً من الله يوم أحد، عرضه على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن المؤمنين إن اتقوا وصبروا أمدّهم بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين، ففرّ المسلمون يوم أحد، وولوا مدبرين، فلم يمدّهم الله. حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: {بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُمْ مّن فَوْرِهِمْ هَـٰذَا... } الآية كلها قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم ينظرون المشركين: يا رسول الله أليس يمدّنا الله كما أمدّنا يوم بدر؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ المَلائِكَةِ مُنْزَلِينَ، وإنما أمدّكم يوم بدر بألف؟» قال :فجاءت الزيادة من الله على أن يصبروا ويتقوا، قال: بشرط أن يأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم... الآية كلها. وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أنه قال للمؤمنين: {أَلَنْ يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ}؟ فوعدهم الله بثلاثة آلاف من الملائكة مدداً لهم، ثم وعدهم بعد الثلاثة الآلاف، خمسة آلاف إن صبروا لأعدائهم، واتقوا الله. ولا دلالة في الآية على أنهم أمدّوا بالثلاثة آلاف، ولا بالخمسة آلاف، ولا على أنهم لم يمدّوا بهم. وقد يجوز أن يكون الله عزّ وجلّ أمدّهم على نحو ما رواه الذين أثبتوا أنه أمدّهم. وقد يجوز أن يكون لم يمدّهم على نحو الذي ذكره من أنكر ذلك، ولا خبر عندنا صحّ من الوجه الذي يثبت أنهم أمدّوا بالثلاثة الآلاف ولا بالخمسة الآلاف.

وغير جائز أن يقال في ذلك قول إلا بخبر تقوم الحجة به، ولا خبر به كذلك فنسلم لأحد الفريقين قوله، غير أن في القرآن دلالة على أنهم قد أمدّوا يوم بدر بألف من الملائكة وذلك قوله: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي

مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مّنَ ٱلْمَلَئِكَةِ مُرْدِفِينَ} فأما في يوم أُحد، فالدلالة على أنهم لم يمدّوا أبين منها في أنهم أمدّوا، وذلك أنهم لو أمدّوا لم يهزموا وينال منهم ما نيل منهم. فالصواب فيه من القول أن يقال كما قال تعالى ذكره. وقد بينا معنى الإمداد فيما مضى، والمدد، ومعنى الصبر والتقوى. وأما قوله: {وَيَأْتُوكُمْ مِّن فَوْرِهِمْ هَـٰذَا} فإن أهل التأويل اختلفوا فيه، فقال بعضهم: معنى قوله: {مِّن فَوْرِهِمْ هَـٰذَا}: من وجههم هذا. ذكر من قال ذلك: حدثنا حميد بن مسعدة، قال: ثنا يزيد بن زريع، عن عثمان بن غياث، عن عكرمة، قال: {وَيَأْتُوكُمْ مّن فَوْرِهِمْ هَـٰذَا} قال: من وجههم هذا. حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: {مِّن فَوْرِهِمْ هَـٰذَا}يقول: من وجههم هذا. حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال :أخبرنا معمر، عن قتادة، مثله. حدثنا محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر الحنفي، قال: ثنا عباد، عن الحسن في قوله: {وَيَأْتُوكُمْ مِّن فَوْرِهِمْ هَـٰذَا}: من وجههم هذا. حُدثت عن عمار بن الحسن، عن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قوله: {وَيَأْتُوكُمْ مِّن فَوْرِهِمْ هَـٰذَا} يقول: من وجههم هذا. حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: {وَيَأْتُوكُمْ مِّن فَوْرِهِمْ هَـٰذَا} يقول: من وجههم هذا. حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: {وَيَأْتُوكُمْ مِّن فَوْرِهِمْ هَـٰذَا} يقول: من سفرهم هذا، ويقال: يعني عن غير ابن عباس، بل هو من غضبهم هذا. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: {مِّن فَوْرِهِمْ هَـٰذَا} من وجههم هذا وقال آخرون :معنى ذلك: من غضبهم هذا. ذكر من قال ذلك: حدثني محمد بن المثنى، قال :ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن عكرمة في قوله: {وَيَأْتُوكُمْ مِّن فَوْرِهِمْ هَـٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَئِكَةِ} قال: فورهم ذلك كان يوم أُحد، غضبوا ليوم بدر مما لقوا. حدثني محمد بن عمارة، قال: ثنا سهل بن عامر، قال: ثنا مالك بن مغول، قال: سمعت أبا صالح مولى أمّ هانىء يقول: {مِّن فَوْرِهِمْ هَـٰذَا} يقول: من غضبهم هذا. حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: {وَيَأْتُوكُمْ مّن فَوْرِهِمْ هَـٰذَا} قال: غضب لهم، يعني الكفار، فلم يقاتلوهم عند تلك الساعة، وذلك يوم أُحد.

تفسير مفاتيح الغيب: الرازي (606 هـ)

وفيه مسائل: المسألة الأولى: اختلف المفسرون في أن هذا الوعد حصل يوم بدر، أو يوم أُحد ويتفرع على هذين القولين بيان العامل في { إِذْ } فإن قلنا هذا الوعد حصل يوم بدر كان العامل في { إِذْ } قوله }نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ] { آل عمران: 123] والتقدير: إذ نصركم الله ببدر وأنتم أذلة تقول للمؤمنين، وإن قلنا إنه حصل يوم أحد، كان ذلك بدلاً ثانياً من قوله { وَإِذْ غَدَوْتَ} . إذا عرفت هذا فنقول: القول الأول: أنه يوم أحد، وهو مروي عن ابن عباس والكلبي والواقدي ومقاتل ومحمد بن إسحاق، والحجة عليه من وجوه: الحجة الأولى: أن يوم بدر إنما أمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بألف من الملائكة قال تعالى في سورة الأنفال: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ إِنّى مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مّنَ ٱلْمَلَئِكَةِ} [الأنفال 9] :فكيف يليق ما ذكر فيه ثلاثة آلاف وخمسة آلاف بيوم بدر؟. الحجة الثانية :أن الكفار كانوا يوم بدر ألفاً أو ما يقرب منه والمسلمون كانوا على الثلث منهم لأنهم كانوا ثلثمائة وبضعة عشر، فأنزل الله تعالى يوم بدر ألفاً من الملائكة، فصار عدد الكفار مقابلاً بعدد الملائكة مع زيادة عدد المسلمين فلا جرم وقعت الهزيمة على الكفار فكذلك يوم أحد كان عدد المسلمين ألفاً، وعدد الكفار ثلاثة آلاف، فكان عدد المسلمين على الثلث من عدد الكفار

في هذا اليوم، كما في يوم بدر، فوعدهم الله في هذا اليوم أن ينزل ثلاثة آلاف من الملائكة ليصير عدد الكفار مقابلاً بعدد الملائكة مع زيادة عدد المسلمين، فيصير ذلك دليلاً على أن المسلمين يهزمونهم في هذا اليوم كما هزموهم يوم بدر ثم جعل الثلاثة آلاف خمسة آلاف لتزداد قوة قلوب المسلمين في هذا اليوم ويزول الخوف عن قلوبهم، ومعلوم أن هذا المعنى إنما يحصل إذا قلنا إن هذا الوعد إنما حصل يوم أحد. الحجة الثالثة: أنه تعالى قال في هذه الآية {وَيَأْتُوكُمْ مّن فَوْرِهِمْ هَـٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلاف من ٱلْمَلَٰئِكَةِ مُسَومين} [آل عمران: 125] والمراد ويأتوكم أعداؤكم من فورهم، ويوم أحد هو اليوم الذي كان يأتيهم الأعداء، فأما يوم بدر فالأعداء ما أتوهم، بل هم ذهبوا إلى الأعداء. فإن قيل: لو جرى قوله تعالى: { أَلَنْ يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاَثَةِ آلافٍ مِنَ ٱلْمَلَئِكَةِ } في يوم أحد، ثم إنه ما حصل هذا الإمداد لزم الكذب. والجواب عنه من وجهين الأول: أن إنزاله خمسة آلاف من الملائكة كان مشروطاً بشرط أن يصبروا ويتقوا في المغانم ثم أنهم لم يصبروا ولم يتقوا في المغانم بل خالفوا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم، فلما فات الشرط لا جرم فات المشروط وأما إنزال ثلاثة آلاف من الملائكة فإنما وعد الرسول بذلك للمؤمنين الذين بوأهم مقاعد للقتال وأمرهم بالسكون والثبات في تلك المقاعد، فهذا يدل على أنه صلى الله عليه وسلم إنما وعدهم بهذا الوعد بشرط أن يثبتوا في تلك المقاعد، فلما أهملوا هذا الشرط لا جرم لم يحصل المشروط.

الوجه الثاني: في الجواب: لا نسلم أن الملائكة ما نزلت، روى الواقدي عن مجاهد أنه قال: حضرت الملائكة يوم أُحد ولكنهم لم يقاتلوا، وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى اللواء معصب بن عمير فقتل مصعب فأخذه ملك في صورة مصعب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقدم يا مصعب فقال الملك لست بمصعب فعرف الرسول صلى الله عليه وسلم أنه ملك أمد /به، وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه قال: كنت أرمي السهم يومئذ فيرده على رجل أبيض حسن الوجه وما كنت أعرفه، فظننت أنه ملك، فهذا ما نقوله في تقرير هذا الوجه. إذا عرفت هذا فنقول: نظم الآية على هذا التأويل أنه تعالى ذكر قصة أحد، ثم قال : {وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ } أي يجب أن يكون توكلهم على الله لا على كثرة عددهم وعددهم فلقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فكذلك هو قادر على مثل هذه النصرة في سائر المواضع، ثم بعد هذا أعاد الكلام إلى قصة أحد فقال: { إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاَثَةِ ءالاَفٍ مّنَ ٱلْمَلَئِكَةِ }. القول الثاني: أن هذا الوعد كان يوم بدر، وهو قول أكثر المفسرين، واحتجوا على صحته بوجوه. الحجة الأولى: أن الله تعالى قال: { وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ } [آل عمران:123] { إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيكُمْ } كذا وكذا، فظاهر هذا الكلام يقتضي أن الله تعالى نصرهم ببدر حينما قال الرسول للمؤمنين هذا الكلام، وهذا يقتضي أنه عليه الصلاة والسلام قال هذا الكلام يوم بدر. الحجة الثانية: أن قلة العدد والعدد كانت يوم بدر أكثر وكان الاحتياج إلى تقوية القلب ذلك اليوم أكثر، فكان صرف هذا الكلام إلى ذلك اليوم أولى. الحجة الثالثة: أن الوعد بإنزال ثلاثة آلاف من الملائكة كان مطلقاً غير مشروط بشرط، فوجب أن يحصل، وهو إنما حصل يوم بدر لا يوم أُحد، وليس لأحد أن يقول إنهم نزلوا لكنهم ما قاتلوا لأن الوعد كان بالإمداد بثلاثة آلاف من الملائكة، وبمجرد الإنزال لا يحصل الإمداد بل لا بد من الإعانة، والإعانة حصلت يوم بدر ولم تحصل يوم أحد، ثم القائلون بهذا القول أجابوا عن دلائل الأولين فقالوا: أما الحجة الأولى: وهي قولكم: الرسول صلى الله عليه وسلم إنما أمد يوم بدر بألف من الملائكة. فالجواب عنها: من وجهين الأول: أنه تعالى أمد أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم بألف ثم زاد فيهم ألفين فصاروا

ثلاثة آلاف، ثم زاد ألفين آخرين فصاروا خمسة آلاف، فكأنه عليه الصلاة والسلام قال لهم: ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بألف من الملائكة فقالوا بلى، ثم قال: ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف فقالوا بلى، ثم قال لهم: إن تصبروا وتتقوا يمددكم ربكم بخمسة آلاف، وهو كما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه:

"أيسركم أن تكونوا ربع أهل الجنة قالوا نعم قال أيسركم أن تكونوا ثلث أهل الجنة قالوا نعم قال فإني أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة " ." الوجه الثاني في الجواب: أن أهل بدر إنما أمدوا بألف على ما هو مذكور في سورة الأنفال، ثم بلغهم أن بعض المشركين يريد إمداد قريش بعدد كثير فخافوا وشق عليهم ذلك لقلة عددهم، فوعدهم الله بأن الكفار إن جاءهم مدد فأنا أمدكم بخمسة آلاف من الملائكة، ثم إنه لم يأت قريشاً ذلك المدد، بل انصرفوا حين بلغهم هزيمة قريش، فاستغنى عن إمداد المسلمين بالزيادة على الألف. وأما الحجة الثانية: وهي قولكم: إن الكفار كانوا يوم بدر ألفاً فأنزل الله ألفاً من الملائكة ويوم أحد ثلاثة آلاف فأنزل الله ثلاثة آلاف. فالجواب: إنه تقريب حسن، ولكنه لا يوجب أن لا يكون الأمر كذلك، بل الله تعالى قد يزيد وقد ينقص في العدد بحسب ما يريد. وأما الحجة الثالثة: وهي التمسك بقوله {وَيَأْتُوكُمْ مّن فَوْرِهِمْ} [آل عمران: 125]. فالجواب عنه: أن المشركين لما سمعوا أن الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه قد تعرضوا للعير ثار الغضب في قلوبهم واجتمعوا وقصدوا النبي صلى الله عليه وسلم، ثم إن الصحابة لما سمعوا ذلك خافوا فأخبرهم الله تعالى: أنهم إن يأتوكم من فورهم يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة فهذا حاصل ما قيل في تقرير هذين القولين، والله أعلم بمراده. المسألة الثانية :اختلفوا في عدد الملائكة، وضبط الأقوال فيها أن من الناس من ضم العدد الناقص إلى العدد الزائد، فقالوا: لأن الوعد بإمداد الثلاثة لا شرط فيه، والوعد بإمداد الخمسة مشروط بالصبر والتقوى ومجيء الكفار من فورهم، فلا بد من التغاير وهو ضعيف، لأنه لا يلزم من كون الخمسة مشروطة بشرط أن تكون الثلاثة التي هي جزؤها مشروطة بذلك الشرط ومنهم من أدخل العدد الناقص في العدد الزائد، أما على تقدير الأول: فإن حملنا الآية على قصة بدر كان عدد الملائكة تسعة آلاف لأنه تعالى ذكر الألف، وذكر ثلاثة آلاف، وذكر خمسة آلاف، والمجموع تسعة آلاف، وإن حملناها على قصة أحد، فليس فيها ذكر الألف، بل فيها ذكر ثلاثة آلاف، وخمسة آلاف، والمجموع: ثمانية آلاف، وأما على التقدير الثاني: وهو إدخال الناقص في الزائد فقالوا: عدد الملائكة خمسة آلاف، ثم ضم إليها ألفان آخران، فلا جرم وعدوا بالألف ثم ضم إليه ألفان فلا جرم وعدوا بثلاثة آلاف، ثم ضم إليها ألفان آخران فلام جر وعدوا بخمسة آلاف، وقد حكينا عن بعضهم أنه قال أمد أهل بدر بألف فقيل: إن كرز بن جابر المحاربي يريد أن يمد المشركين فشق ذلك على المسلمين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لهم: ألن يكفيكم يعني بتقدير أن يجيء المشركين مدد فالله تعالى يمدكم أيضاً بثلاثة آلاف وخمسة آلاف، ثم إن المشركين ما جاءهم المدد، فكذا ههنا الزائد على الألف ما جاء المسلمين فهذه وجوه كلها محتملة، والله أعلم بمراده.

المسألة الثالثة: أجمع أهل التفسير والسير أن الله تعالى أنزل الملائكة يوم بدر وأنهم قاتلوا الكفار، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لم تقاتل الملائكة سوى يوم بدر وفيما سواه كانوا عدداً ومدداً لا يقاتلون ولا يضربون، وهذا قول الأكثرين، وأما أبو بكر الأصم، فإنه أنكر ذلك أشد الإنكار، واحتج عليه بوجوه: الحجة الأولى: إن الملك الواحد يكفي في إهلاك الأرض، ومن المشهور أن جبريل عليه السلام أدخل جناحه تحت المدائن الأربع لقوم لوط وبلغ جناحه إلى الأرض السابعة، ثم رفعها إلى السماء وقلب عاليها سافلها، فإذا حضر هو يوم بدر، فأي حاجة إلى مقاتلة الناس مع

الكفار؟ ثم بتقدير حضوره، فأي فائدة في إرسال سائر الملائكة؟. الحجة الثانية: أن أكابر الكفار كانوا مشهورين وكل واحد منهم مقابله من الصحابة معلوم وإذا كان كذلك امتنع إسناد قتله إلى الملائكة. الحجة الثالثة: الملائكة لو قاتلوا لكانوا إما أن يصيروا بحيث يراهم الناس أو لا يراهم الناس فإن رآهم الناس فإما أن يقال إنهم رأوهم في صورة الناس أو في غير صورة الناس، فإن كان الأول فعلى هذا التقدير صار المشاهد من عسكر الرسول ثلاثة آلاف، أو أكثر، ولم يقل أحد بذلك، ولأن هذا على خلاف قوله تعالى :{وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ} [الأنفال 44] :وإن شاهدوهم في صورة غير صور الناس لزم وقوع الرعب الشديد في قلوب الخلق فإن من شاهد الجن لا شك أنه يشتد فزعه ولم ينقل ذلك ألبتة. وأما القسم الثاني: وهو أن الناس ما رأوا الملائكة فعلى هذا التقدير: إذا حاربوا وحزوا الرؤوس، ومزقوا البطون وأسقطوا الكفار عن الأفراس، فحينئذ الناس كانوا يشاهدون حصول هذه الأفعال مع أنهم ما كانوا شاهدوا أحداً من الفاعلين، ومثل هذا يكون من أعظم المعجزات، وحينئذ يجب أن يصير الجاحد لمثل هذه الحالة كافراً متمرداً، ولما لم يوجد شيء من ذلك عرف فساد هذا القسم أيضاً. الحجة الرابعة: أن هؤلاء الملائكة الذين نزلوا، إما أن يقال: إنهم كانوا أجساماً كثيفة أو لطيفة، فإن كان الأول وجب أن يراهم الكل وأن تكون رؤيتهم كرؤية غيرهم، ومعلوم أن الأمر ما كان كذلك، وإن كانوا أجساماً لطيفة دقيقة مثل الهواء لم يكن فيهم صلابة وقوة، ويمتنع كونهم راكبين على الخيول وكل ذلك مما ترونه.

واعلم أن هذه الشبهة إنما تليق بمن ينكر القرآن والنبوّة، فأما من يقر بهما فلا يليق به شيء من هذه الكلمات، فما كان يليق بأبي بكر الأصم إنكار هذه الأشياء مع أن نص القرآن ناطق بها وورودها في الأخبار قريب من التواتر، روى عبد الله بن عمر قال لما رجعت قريش من أحد جعلوا يتحدثون في أنديتهم بما ظفروا، ويقولون: لم نر الخيل البلق ولا الرجال البيض الذين كنا نراهم يوم بدر والشبهة المذكورة إذا قابلناها بكمال قدرة الله تعالى زالت وطاحت فإنه تعالى يفعل ما يشاء لكونه قادراً على جميع الممكنات ويحكم ما يريد لكونه منزّهاً عن الحاجات. المسألة الرابعة: اختلفوا في كيفية نصرة الملائكة قال بعضهم :بالقتال مع المؤمنين، وقال بعضهم: بل بتقوية نفوسهم وإشعارهم بأن النصرة لهم وبإلقاء الرعب في قلوب الكفار، والظاهر في المدد أنهم يشركون الجيش في القتال إن وقعت الحاجة إليهم، ويجوز أن لا تقع الحاجة إليهم في نفس القتال وأن يكون مجرد حضورهم كافياً في تقوية القلب، وزعم كثير من المفسرين أنهم قاتلوا يوم بدر ولم يقاتلوا في سائر الأيام. المسألة الخامسة: قوله تعالى : {أَلَنْ يَكْفِيكُمْ } معنى الكفاية هو سد الخلة والقيام بالأمر، يقال كفاه أمر كذا إذا سد خلته، ومعنى الإمداد إعطاء الشيء حالاً بعد حال قال المفضل: ما كان على جهة القوة والإعانة قيل فيه أمده يمده، وما كان على جهة الزيادة قيل فيه: مده يمده ومنه قوله {وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُ} [لقمان .27] : المسألة السادسة: قرأ ابن عامر { مُنزَلِينَ } مشدد الزاي مفتوحة على التكثير، والباقون بفتح الزاي مخففة، وهما لغتان. المسألة السابعة: قال صاحب «الكشاف»: إنما قدم لهم الوعد بنزول الملائكة لتقوى قلوبهم ويعزموا على الثبات ويثقوا بنصر الله ومعنى { أَلَنْ يَكْفِيكُمْ } إنكار أن لا يكفيكم الإمداد بثلاثة آلاف من الملائكة وإنما جيء بلن التي هي لتأكيد النفي للاشعار بأنهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عددهم كالآيسين من النصر.

تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (774 هـ)

اختلف المفسرون في هذا الوعد، هل كان يوم بدر، أو يوم أحد؟ على قولين أحدهما أن قوله {إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ} متعلق بقوله {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ} ورُوي هذا عن الحسن البصري وعامر الشعبي والربيع بن أنس وغيرهم، واختاره ابن جرير، قال عباد بن منصور عن الحسن في قوله {إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاَثَةِ ءَالاَفٍ مِّنَ ٱلْمَلَئِكَةِ} قال هذا يوم بدر، رواه ابن أبي حاتم. ثم قال حدثنا أبي، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا وهيب، حدثنا داود عن عامر، يعني الشعبي أن المسلمين بلغهم يوم بدر أن كرز بن جابر يمد المشركين، فشق ذلك عليهم، فأنزل الله تعالى { أَلَنْ يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاَثَةِ ءَالاَفٍ مِّنَ ٱلْمَلَئِكَةِ مُنزَلِينَ } . إلى قوله . { مُسَوَّمِينَ } قال فبلغت كُرْزاً الهزيمة، فلم يمد المشركين، ولم يمد الله المسلمين بالخمسة، وقال الربيع بن أنس أمد الله المسلمين بألف، ثم صاروا ثلاثة آلاف، ثم صاروا خمسة آلاف، فإن قيل فما الجمع بين هذه الآية على هذا القول، وبين قوله تعالى في قصة بدر { إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ } إلى قوله { إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } فالجواب أن التنصيص على الألف . ههنا . لا ينافي الثلاثة الآلاف فما فوقها، لقوله { مُرْدِفِينَ } بمعنى يردفهم غيرهم، ويتبعهم ألوف أخر مثلهم. وهذا السياق شبيه بهذا السياق في سورة آل عمران. فالظاهر أن ذلك كان يوم بدر كما هو المعروف من أن قتال الملائكة إنما كان يوم بدر، والله أعلم. وقال سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة أمد الله المسلمين يوم بدر بخمسة آلاف. القول الثاني إن هذا الوعد متعلق بقوله {وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّىءُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ} آل عمران 121 وذلك يوم أُحد، وهو قول مجاهد وعكرمة والضحاك والزهري وموسى بن عقبة وغيرهم. لكن قالوا لم يحصل الإمداد بالخمسة الآلاف لأن المسلمين فروا يومئذ، زاد عكرمة ولا بالثلاثة الآلاف لقوله تعالى { بَلَىَ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ } فلم يصبروا، بل فروا، فلم يمدوا بملك واحد .وقوله { بَلَىَ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ } يعني تصبروا على عدوكم، وتتقوني وتطيعوا أمري. وقوله تعالى { وَيَأْتُوكُمْ مِّن فَوْرِهِمْ هَـٰذَا } قال الحسن وقتادة والربيع والسدي أي من وجههم هذا، وقال مجاهد وعكرمة وأبو صالح أي من غضبهم هذا. وقال الضحاك من غضبهم ووجههم. وقال العوفي عن ابن عباس من سفرهم هذا، ويقال من غضبهم هذا. وقوله تعالى { يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ ءَالآفٍ مِّنَ ٱلْمَلَئِكَةِ مُسَوِّمِينَ } أي معلمين بالسيما، وقال أبو إسحاق السبيعي عن حارثة بن مضرب، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال كان سيما الملائكة يوم بدر الصوف الأبيض، وكان سيماهم أيضاً في نواصي خيولهم، رواه ابن أبي حاتم.

ثم قال حدثنا أبو زرعة، حدثنا هدبة بن خالد، حدثنا حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو بن علقمة، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه في هذه الآية { مُسَوِّمِينَ } قال بالعهن الأحمر، وقال مجاهد { مُسَوِّمِينَ } أي محذفة أعرافها، معلمة نواصيها بالصوف الأبيض في أذناب الخيل. وقال العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنه، قال أتت الملائكة محمداً صلى الله عليه وسلم، مسومين بالصوف، فسوم محمد وأصحابه أنفسهم وخيلهم على سيماهم بالصوف. وقال قتادة وعكرمة { مُسَوِّمِينَ } أي بسيما القتال، وقال مكحول مسومين بالعمائم. وروى ابن مردويه من حديث عبد القدوس بن حبيب عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله { مُسَوِّمِينَ } قال "معلمين " وكان سيما الملائكة يوم بدر عمائم سود، ويوم حنين عمائم حمر. وروى من حديث حصين بن مخارق عن سعيد، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس، قال لم تقاتل الملائكة إلا يوم بدر. وقال ابن إسحاق حدثني من لا أتهم عن مقسم، عن ابن عباس، قال كان سيما الملائكة يوم بدر، عمائم بيض قد أرسلوها في ظهورهم، ويوم حنين

عمائم حمر. ولم تضرب الملائكة في يوم سوى يوم بدر، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عدداً ومدداً لا يضربون، ثم رواه عن الحسن بن عمارة، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس، فذكر نحوه. وقال ابن أبي حاتم حدثنا الأحمسي، حدثنا وكيع، حدثنا هشام بن عروة عن يحيى بن عباد أن الزبير رضي الله عنه، كان عليه يوم بدر عمامة صفراء معتجراً بها، فنزلت الملائكة عليهم عمائم صفر، رواه ابن مردويه من طريق هشام بن عروة عن أبيه، عن عبد الله ابن الزبير، فذكره. وقوله تعالى { وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلاَّ بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ } أي وما أنزل الله الملائكة، وأعلمكم بإنزالهم، إلا بشارة لكم، وتطييباً لقلوبكم وتطميناً، وإلا فإنما النصر من عند الله الذي لو شاء لانتصر من أعدائه بدونكم، ومن غير احتياج إلى قتالكم لهم، كما قال تعالى بعد أمره المؤمنين بالقتال { ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ اللَّهُ لاَنْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ } ولهذا قال ههنا { وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلاَّ بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ } أي هو ذو العزة التي لا ترام، والحكمة في قدره والأحكام، ثم قال تعالى { لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوۤاْ } أي أمركم بالجهاد والجلاد لما له في ذلك من الحكمة في كل تقدير، ولهذا ذكر جميع الأقسام الممكنة في الكفار المجاهدين، فقال } لِيَقْطَعَ طَرَفاً } أي ليهلك أمة { مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوۤاْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُواْ } أي يرجعوا { خَآئِبِينَ } أي لم يحصلوا على ما أملوا.

الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: الزمخشري (538 هـ)

أمرهم بألا يتوكلوا إلا عليه ولا يفوّضوا أمورهم إلا إليه ثم ذكرهم ما يوجب عليهم التوكل مما يسر لهم من الفتح يوم بدر وهم في حالة قلة وذلة. والأذلة جمع قلة والذلان جمع الكثرة. وجاء بجمع القلة ليدل على أنهم على ذلتهم كانوا قليلاً، وذلتهم، ما كان بهم من ضعف الحال وقلة السلاح والمال والمركوب، وذلك أنهم خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد وما كان معهم إلا فرس واحد. وقلتهم أنهم كانوا ثلثمائة وبضعة عشر، وكان عدوّهم في حال كثرة زهاء ألف مقاتل ومعهم مائة فرس والشَّكَّة والشَّوْكة. وبدر اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدراً فسمي به { فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ } في الثبات مع رسوله { لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } بتقواكم ما أنعم به عليكم من نصرته. أو لعلكم ينعم الله عليكم نعمة أخرى تشكرونها، فوضع الشكر موضع الإنعام لأنه سبب له { إِذْ تَقُولُ } ظرف لنصركم، على أن يقول لهم ذلك يوم بدر، أو بدل ثان من { وإِذْ غَدَوْتَ } على أن يقوله لهم يوم أحد. فإن قلت كيف يصح أن يقول لهم يوم أحد ولم تنزل فيه الملائكة؟ قلت قاله لهم مع اشتراط الصبر والتقوى عليهم، فلم يصبروا عن الغنائم ولم يتقوا، حيث خالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلذلك لم تنزل الملائكة ولو تموا على ما شرط عليهم لنزلت. وإنما قدم لهم الوعد بنزول الملائكة لتقوى قلوبهم ويعزموا على الثبات ويثقوا بنصر الله. ومعنى { أَلَنْ يَكْفِيكُمْ } إنكار أن لا يكفيهم الإمداد بثلاثة آلاف من الملائكة. وإنما جيء بلن الذي هو لتأكيد النفي، للإشعار بأنهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوّهم وشوكته كالآيسين من النصر. و { بَلَىٰ } إيجاب لما بعد لن، بمعنى بل يكفيكم الإمداد بهم، فأوجب الكفاية ثم قال { وإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ} يمددكم بأكثر من ذلك العدد مسوّمين للقتال { وَيَأْتُوكُمْ } يعني المشركين { مّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا } من قولك قفل من غزوته وخرج من فوره إلى غزوة أخرى، وجاء فلان ورجع من فوره. ومنه قول أبي حنيفة رحمه الله الأمر على الفور لا على التراخي، وهو مصدر من فارت القدر، إذا غلت، فاستعير للسرعة، ثم سميت به الحالة التي لا ريث فيها ـ ولا تعريج على شيء من صاحبها فقيل خرج من فوره، كما تقول خرج من ساعته، لم يلبث. والمعنى أنهم إن يأتوكم من

ساعتهم هذه { يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ } بالملائكة في حال إتيانهم لا يتأخر نزولهم عن إتيانهم، يريد أنّ الله يعجل نصرتكم وييسر فتحكم إن صبرتم واتقيتم. وقرىء «منزلين» بالتشديد. «ومنزلين» بكسر الزاي، بمعنى منزلين النصر.

و { مُسَوّمِينَ } بفتح الواو وكسرها. بمعنى معلمين. ومعلمين أنفسهم أو خيلهم. قال الكلبي معلمين بعمائم صفر مرخاة على أكتافهم. وعن الضحاك معلمين بالصوف الأبيض في نواصي الدواب وأذنابها. وعن مجاهد مجزوزة أذناب خيلهم. وعن قتادة كانوا على خيل بلق. وعن عروة بن الزبير كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء، فنزلت الملائكة كذلك، وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لأصحابه 205 "تسوّموا فإنّ الملائكة قد تسوّمت " .{ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ } الهاء لأن يمدكم. أي وما جعل الله إمدادكم بالملائكة إلا بشارة لكم بأنكم تنصرْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ به } كما كانت السكينة لبني إسرائيل بشارة بالنصر وطمأنينة قلوبهم { وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ } لا من عند المقاتلة إذا تكاثروا، ولا من عند الملائكة والسكينة، ولكن ذلك مما يقوي به الله رجاء النصرة والطمع في الرحمة، ويربط به على قلوب المجاهدين {ٱلْعَزِيزُ } الذي لا يغالب في حكمه { ٱلْحَكِيمُ } الذي يعطي النصر ويمنعه لما يرى من المصلحة { لِيَقْطَعَ طَرَفاً مّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ } ليهلك طائفة منهم بالقتل والأسر، وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين من رؤساء قريش وصناديدهم { أَوْ يَكْبِتَهُمْ } أو يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة { فَيَنقَلِبُواْ خَائِبِينَ { غير ظافرين بمبتغاهم.ونحوه {وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْراً } الأحزاب 25 ويقال كبته، بمعنى كبده إذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة. وقيل في قول أبي الطيب

لأَكْبِتَ حَاسِداً وَأرى عَدُوًّا

هو من الكبد والرئة، واللام المتعلقة بقوله { وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ } أو بقوله { وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ } { أَوْ يَتُوبَ } عطف على ما قبله.

تفسير المنار: محمد رشيد رضا (1354 هـ)

{إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ } قيل: إن هذا متعلق بقوله: { وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ } وقيل إنه خاص بوقعة أحد التي ورد فيها هذا السياق كقوله : {إِذْ هَمَّتْ طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلاَ } متعلق بتبوئ أو بسميع أو بدل من إذ الأولى. والتقدير تبوئهم مقاعد للقتال في الوقت الذي هم فيه بعضهم بالفشل مع أن الله نصركم ببدر على قلة وذلة – وفي الوقت الذي كنت تقول فيه للمؤمنين { أَلَنْ يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاَثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلآئِكَةِ مُنزَلِينَ } وهذا هو المختار . والتقدير على الأول: إن الله نصركم ببدر في ذلك الوقت الذي كنت تقول فيه لهم { أَلَنْ يَكْفِيكُمْ } إلخ أخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر وغيرهما عن الشعبي أن المسلمين بلغهم يوم بدر أن كرز بن جابر المحاربي يريد أن يمد المشركين فشق ذلك عليهم فأنزل الله: { أَلَنْ يَكْفِيكُمْ } إلخ فبلغت كرزا الهزيمة فلم يمد المشركين. ورواه ابن جرير عن الشعبي وعن غيره وذكر الخلاف في حصول هذا الإمداد بالفعل وأن بعضهم يقول إنه لم يحصل وبعضهم قال إنه حصل يوم بدر ونقل عن بعضهم أن الوعد بالإمداد وإن لم يحصل ببدر عام في كل الحروب وأنهم أمدوا في حرب قريظة والنضير والأحزاب ولم يمدوا يوم أحد لأنهم لم يصبروا ولم يتقوا.

روي عن الضحاك أن هذا كان موعداً من الله يوم أُحد عرضه على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن المؤمنينإن اتقوا وصبروا أمدهم بخمسة آلاف. وروي نحوه عن ابن زيد قال " :قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ينظرون المشركين أليس الله يمدنا كما أمدنا يوم بدر؟ فقال رسول صلى الله عليه وسلم: ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين وإنما أمدكم يوم بدر بألف " قال :فجاءت الزيادة { بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُمْ مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ } الفور في الأصل فوران القدر ونحوها ثم استعير الفور للسرعة ثم سميت به الحالة التي لا ريث فيها ولا تعريج من صاحبها على شيء؛ فمعنى يأتوكم من فورهم من ساعتهم هذه بدون إبطاء. ومسومين من التسويم قرأها ابن كثير وأبو عمرو وعاصم ويعقوب بكسر الواو المشددة والباقون بفتحها. وقد ورد سوّمه الأمر بمعنى كلفه إياه وسوّم فلانا خلاه وسوّمه في ماله حكمه وصرفه وسوّم الخيل أرسلها وكل هذه المعاني ظاهرة على قراءة فتح الواو من " مسومين " فيصح أن يكون المعنى إن هؤلاء الملائكة يكونون مكلفين من الله تثبيت قلوب المؤمنين، أو محكمين ومصرفين فيما يفعلونه في النفوس من إلهام النصر بتثبيت القلوب والربط عليها. أو مرسلين من عنده تعالى.

وأما قراءة كسر الواو " مسوّمين " فهي من قولهم سوّم على القوم إذا أغار عليهم ففتك بهم ولو بالإعانة المعنوية على ذلك وقال بعض المفسرين إنه من التسويم بمعنى إظهار سيما الشيء أي علامته أي معلمين أنفسهم أو خيلهم وهو كما ترى لولا الرواية لم يخطر على بال أحد منهم ويمكن أن يُقال مسومين للمؤمنين بما يظهر عليهم من سيما تثبيتهم إياهم.

قال ابن جرير بعد ذكر الخلاف في هذا الإمداد ما نصه: " وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال إن الله أخبر عن نبيه محمد – صلى الله عليه وسلم – أنه قال للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة ثم وعدهم بعد الثلاثة الآلاف خمسة آلاف إن صبروا لأعدائهم واتقوا ولا دلالة في الآية على أنهم أمدوا بالثلاثة الآلاف ولا بالخمسة الآلاف ولا على أنهم لم يمدوا بهم، وقد يجوز أن يكون الله أمدهم على نحو ما رواه الذين أثبتوا أن الله أمدهم، وقد يجوز أن يكون الله لم يمدهم على نحو الذي ذكره من أنكر ذلك. ولا خبر عندنا صح من الوجه الذي يثبت أنهم أمدوا بالثلاثة الآلاف ولا بالخمسة الآلاف وغير جائز أن يُقال في ذلك قول إلا بخبر تقوم الحجة به ولا خبر به فنسلم لأحد الفريقين قوله، غير أن في القرآن دلالة على أنهم قد أمدوا يوم بدر بألف من الملائكة وذلك قوله:{ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ } [الأنفال 9] :أما في أحد فالدلالة على أنهم لم يمدوا أبين منها في أنهم أمدوا، وذلك أنهم لو أمدوا لم يهزموا وينل منهم ما نيل منهم " اهـ.

أقول :أما معنى هذا الإمداد بالملائكة فهو من قبيل إمداد العسكر بما يزيد عددهم أو عدتهم وقوتهم ولو النفسية وهذا هو الظاهر وهاك بيانه.

الامداد من المد، والمد في الأصل عبارة عن بسط الشيء كمد اليد والحبل أو عن الزيادة في مادته كمد النهر بنهر أو سيل آخر. قال تعالى : {أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَاتِ } [المؤمنون 56-55] فالإمداد يكون بالمال وهو ما يتمول وينتفع به ويكون بالأشخاص .والإمداد بالملائكة يصح أن يكون من قبيل الإمداد بالمال الذي يزيد في قوة القوم وأن يكون من الإمداد بالأشخاص الذين ينتفع بهم ولو نفعاً معنوياً وذلك أن الملائكة أرواح

تلابس النفوس فتمدها بالإلهامات الصالحة التي تثبتها وتقوي عزيمتها، ولذلك قال عزّ وجلّ: { وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلاَّ بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ } قال ابن جرير: يعني تعالى ذكره وما جعل الله وعده إياكم ما وعدكم به من إمداده إياكم بالملائكة الذين ذكر عددهم إلا بشرى لكم يبشركم بها { وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ } يقول وكي تطمئن بوعده الذي وعدكم من ذلك قلوبكم فتسكن إليه ولا تجزع من كثرة عدد عدوكم وقلة عددكم { وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ } يعني وما ظفركم إن ظفرتم بعدوكم إلاّ بعون الله لا من قبل المدد الذي يأتيكم من الملائكة اهـ. وأقول: الظاهر أن يكون التقدير وما جعل الله ذلك القول الذي قاله لكم الرسول وهو: { أَلَنْ يَكْفِيكُمْ } إلخ إلاّ بشرى يفرح بها روعكم وتنبسط بها أسارير وجوهكم وطمأنينة لقلوبكم التي طرقها الخوف من كثرة عدوكم واستعدادهم. أي إن قول الرسول له هذا التأثير في تقوية القلوب وتثبيت النفوس. وإنما أرجعنا ضمير " جعله " إلى قول الرسول – صلى الله عليه وسلم – لا إلى وعد الله عزّ وجلّ لأن الآيتين السابقتين ليستا وعداً من الله بالإمداد بالملائكة، وإنما هما إخبار عما قاله الرسول – صلى الله عليه وسلم – فقد أخبر تعالى في تينك الآيتين أن رسوله قال لأصحابه ذلك القول وبين في هذه الآية فائدة ذلك القول ومنفعته مع بيان الحقيقة، وهي أن النصر بيد الله العزيز أي القوي الذي لا يمتنع عليه شيء الحكيم الذي يدير الأمر على خير سنن، ويقيمه بأحسن سنن، فيهدي لأسباب النصر الظاهرة والباطنة من يشاء، ويصرف عنهما من يشاء، فإن حصل الإمداد بالملائكة فعلاً فما يكون إلاّ جزءاً من أجزاء سبب النصر أو فرداً من أفراده، ومنه إلقاء الرعب والخوف في قلوب الأعداء، ومنه سائر الأسباب المعروفة من الصبر والثبات وحسن التدبير ومعرفة المواقع وغير ذلك، فإن النبي – صلى الله عليه وسلم – سلك إلى أُحد أقرب الطرق وأخفاها عن العدو وعسكر في أحسن موضع وهو الشعب (الوادي) وجعل ظهر عسكره إلى الجبل وجعل الرماة من ورائهم، فلما اختل بعض هذه التدبيرات لم ينتصروا.

وذكر بعض أهل السير أن الملائكة قاتلت يوم أحد وهو ما نفاه ابن جرير وقد ذكرنا عبارته، بل روي عن ابن عباس أن الملائكة لم تقاتل إلاّ يوم بدر، وفيما عداه كانوا عدداً ومدداً لا يقاتلون. وأنكر أبو بكر الأصم قتال الملائكة وقال: أن الملك الواحد يكفي في إهلاك أهل الأرض كما فعل جبريل بمدائن قوم لوط. فإذا حضر هو يوم بدر فأي حاجة إلى مقاتلة الناس مع الكفار وبتقدير حضوره أي فائدة في إرسال سائر الملائكة؟ وأيضاً فإن أكابر الكفار كانوا مشهورين وقاتل كل منهم من الصحابة معلوم، وأيضاً لو قاتلوا فأما أن يكونوا بحيث يراهم الناس أولاً، وعلى الأول يكون المشاهد من عسكر الرسول ثلاثة آلاف وأكثر ولم يقل أحد بذلك، ولأنه خلاف قوله : {وَيُقَلِّلُكُمْ فِيۤ أَعْيُنِهِمْ } [الأنفال:44] ولو كانوا في غير صورة الناس لزم وقوع الرعب الشديد في قلوب الخلق ولم ينقل ذلك ألبتة، وعلى الثاني كان يلزم جز الرؤوس وتمزق البطون وإسقاط الكفار من غير مشاهدة فاعل، ومثل هذا يكون من أعظم المعجزات فكان يجب أن يتواتر ويشتهر بين الكافر والمسلم والموافق والمخالف. وأيضاً إنهم لو كانوا أجساماً كثيفة وجب أن يراهم الكل، وإن كانوا أجساماً لطيفة هوائية فكيف ثبتوا على الخيول اهـ. ذكر ذلك الرازي والنيسابوري، فالرازي أورد هذا عن الأصم وذكر حججه مفصلة كعادته بقوله: الحجة الأولى – الحجة الثانية إلخ، ولخصه النيسابوري عنه بما ذكرناه واعترض الرازي عليه بأن مثل هذا إنما يصدر من غير المؤمنين، وكان يجب أن يرد عليه بما يدفع هذه الحجج أو يبيّن لها مخرجاً.

ليس في القرآن الكريم نص ناطق بأن الملائكة قاتلت بالفعل فيحتج به الرازي على أبي بكر الأصم، وإنما جاء ذكر الملائكة في سياق الكلام عن غزوة بدر في سورة الأنفال على أنها وعد من الله تعالى بإمداد المؤمنين بألف من الملائكة، وفسّر هذا الإمداد بقوله عزّ وجلّ : {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلاۤئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ }[الأنفال: 12] قال ابن جرير في معنى التثبيت (ج 9 ص 124) " يقول قووا عزمهم وصححوا نياتهم في قتال عدوهم من المشركين، وقيل: كان ذلك معونتهم إياهم بقتال أعدائهم " فأنت ترى أنه جزم بأن عمل الملائكة في ذلك اليوم إنما كان موضوعه القلوب بتقوية عزيمتها، وتصحيح نيتها، وذكر قول من قال إن ذلك كان بمعونتهم في القتال بصيغة تدل على ضعفه " قيل " وجعل قوله تعالى : {سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ} [الأنفال : 12] إلخ من تتمة خطاب الله للمؤمنين وهو الظاهر. وبعض المفسرين يجعله بياناً لما تثبت به الملائكة النفوس أي إنها تلقي فيها اعتقاد إلقاء الله الرعب في قلوب المشركين إلخ.

وبهذا يندفع ما قاله الأصم ولا يبقى محل لحججه فإنه لا ينكر أن الملائكة أرواح يمكن أن يكون لها اتصال ما بأرواح بعض البشر وتأثير فيها بالإلهام أو تقوية العزائم، ويؤيده قوله تعالى: { وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلاَّ بُشْرَىٰ } كما قال مثل ذلك في هذه السورة.

هذا ما كان يوم بدر، وسيأتي بسطه في تفسير سورة الأنفال إن أحياناً الله تعالى. وأما يوم أحد فالمحققون على أنه لم يحصل إمداد بالملائكة ولا وعد من الله بذلك وإنما أخبر الله عن رسوله – صلى الله عليه وسلم – أنه ذكر ذلك لأصحابه وجعل الوعد به معلقاً على ثلاثة أمور: الصبر والتقوى وإتيان الأعداء من فورهم، ولم تتحقق هذه الشروط فلم يحصل الإمداد كما تقدم. ولكن القول أفاد البشارة والطمأنينة. وبقي أن يُقال: ما الحكمة وما السبب في إمداد الله المؤمنين يوم بدر بملائكة يثبتون قلوبهم وحرمانهم من ذلك يوم أُحد حتى أصاب العدو منهم ما أصاب؟.

والجواب عن ذلك يعلم من اختلاف حال المؤمنين في ذينك اليومين فنذكره هنا مجملاً مع بيان فلسفته الروحانية، وندع التفصيل فيه إلى تفسير الآيات هنا وفي سورة الأنفال، فإن ما هنا تفصيل لما في وقعة أحد من الحكم وما في سورة الأنفال تفصيل لما كان في وقعة بدر من ذلك.

المعالجة:

- استخرج وجه الإشكال في الآية.
- حدّد الآراء المختلفة في تفسير الإشكال أو الإشكالات الموجودة حسب كلّ مفسّر.
- قدّر بالأدلّة مَن مِن المفسّرين الذي حقّق نموّا معرفيّا أكبر من غيره.
- سجّل ملاحظاتك الخاصّة.

اكتب التفسير الأمثل للإشكال الموجود في الآية.

2) الآية الثانية: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ، وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الصافات:95- 96).

تفسير جامع البيان في تفسير القرآن: الطبري (310 هـ)

وقوله: {قالَ أتَعْبُدونَ ما تَنْحِتُونَ} يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم لقومه :أتعبدون أيها القوم ما تنحتون بأيديكم من الأصنام، كما: حدثنا بشر، قال :ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة {قالَ أتَعْبُدُونَ ما تَنْحِتُونَ}الأصنام. وقوله: {وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَما تَعْمَلُونَ} يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل إبراهيم لقومه: والله خلقكم أيها القوم وما تعملون . وفي قوله: {وَما تَعْمَلُونَ} وجهان: أحدهما: أن يكون قوله: «ما «بمعنى المصدر، فيكون معنى الكلام حينئذٍ: والله خلقكم وعملكم. والآخر أن يكون بمعنى «الذي»، فيكون معنى الكلام عند ذلك: والله خلقكم والذي تعملونه: أي والذي تعملون منه الأنصام، وهو الخشب والنحاس والأشياء التي كانوا ينحِتون منها أصنامهم. وهذا المعنى الثاني قصد إن شاء الله قتادةُ بقوله الذي: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: {وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَما تَعْمَلُونَ}: {بأيْدِيكُمْ}.

الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: الزمخشري (538 هـ)

{وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} يعني خلقكم وخلق ما تعملونه من الأصنام، كقوله{بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلأَرْضَ ٱلَّذِى فطَرَهُنَّ} الأنبياء 56 أي فطر الأصنام. فإن قلت كيف يكون الشيء الواحد مخلوقاً لله معمولاً لهم، حيث أوقع خلقه وعملهم عليها جميعاً؟ قلت هذا كما يقال عمل النجار الباب والكرسي، وعمل الصائغ السوار والخلخال، والمراد عمل أشكال هذه الأشياء وصورها دون جواهرها، والأصنام جواهر وأشكال، فخالق جواهرها الله، وعاملوا أشكالها الذين يشكلونها بنحتهم وحذفهم بعض أجزائها، حتى يستوي التشكيل الذي يريدونه. فإن قلت فما أنكرت أن تكون ما مصدرية لا موصولة، ويكون المعنى والله خلقكم وعملكم، كما تقول المجبرة؟ قلت أقرب ما يبطل به هذا السؤال بعد بطلانه بحجج العقل والكتاب أن معنى الآية يأباه إباء جلياً، وينبو عنه نبوّاً ظاهراً، وذلك أن الله عزّ وجلّ قد احتج عليهم بأنّ العابد والمعبود جميعاً خلق الله، فكيف يعبد المخلوق المخلوق، على أن العابد منهما هو الذي عمل صورة المعبود وشكله، ولولاه لما قدر أن يصوّر نفسه ويشكلها، ولو قلت والله خلقكم وخلق عملكم، ولم يكن محتجاً عليهم ولا كان لكلامك طباق. وشيء آخر وهو أن قوله {وَمَا تَعْمَلُونَ} ترجمة عن قوله {مَا تَنْحِتُونَ} و ما في {مَا تَنْحِتُونَ} موصولة لا مقال فيها فلا يعدل بها عن أختها إلاّ متعسف متعصب لمذهبه، من غير نظر في علم البيان، ولا تبصر لنظم القرآن. فإن قلت اجعلها موصولة حتى لا يلزمني ما ألزمت، وأريد وما تعملونه من أعمالكم. قلت بل الإلزامان في عنقك لا يفكهما إلاّ الإذعان للحق، وذلك أنك جعلتها موصولة، فإنك في إرادتك بها العمل غير محتج على المشركين، كحالك وقد جعلتها مصدرية، وأيضاً فأنك قاطع بذلك الصلة بين ما تعملون وما تنحتون، حتى تخالف بين المرادين بهما فتزيد بما تنحتون الأعيان التي هي الأصنام، وبما تعملون المعاني التي هي الأعمال وفي ذلك فك النظم وتبتيره كما إذا جعلتها مصدرية.

تفسير مفاتيح الغيب: الرازي (606 هـ)

وفي الآية مسائل :المسألة الأولى: اعلم أن القوم لما عاتبوا إبراهيم على كسر الأصنام فهو أيضاً ذكر لهم الدليل الدال على فساد المصير إلى عبادتها فقال: {أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ * وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} ووجه الاستدلال ظاهر وهو أن الخشب والحجر قبل النحت والإصلاح ما كان معبوداً للإنسان ألبتة، فإذا نحته وشكله على الوجه المخصوص لم يحدث فيه إلا آثار تصرفه، فلو صار معبوداً عند ذلك لكان معناه أن الشيء الذي ما كان معبوداً لما حصلت آثار تصرفاته فيه صار معبوداً عند ذلك، وفساد ذلك معلوم ببديهة العقل. المسألة الثانية: احتج جمهور الأصحاب بقوله: {وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} على أن فعل العبد مخلوق لله تعالى فقال النحويون: اتفقوا على أن لفظ ما مع ما بعده في تقدير المصدر فقوله: {وَمَا تَعْمَلُونَ} معناه وعملكم، وعلى هذا التقدير صار معنى الآية والله خلقكم وخلق عملكم، فإن قيل هذه الآية حجة عليكم من وجوه الأول: أنه تعالى قال:{أتعبدون ما تنحتون} أضاف العبادة والنحت إليهم إضافة الفعل إلى الفاعل ولو كان ذلك واقعاً بتخليق الله لاستحال كونه فعلاً للعبد الثاني: أنه تعالى إنما ذكر هذه الآية توبيخاً لهم على عبادة الأصنام، لأنه تعالى بين أنه خالقهم وخالق لتلك الأصنام والخالق هو المستحق للعبادة دون المخلوق، فلما تركوا عبادته سبحانه وهو خالقهم وعبدوا الأصنام لا جرم أنه سبحانه وتعالى وبخهم على هذا الخطأ العظيم فقال: {أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ * وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} ولو لم يكونوا فاعلين لأفعالهم لما جاز توبيخهم عليها سلمنا أن هذه الآية ليست حجة عليكم لكن لا نسلم أنها حجة لكم، قوله لفظة ما مع ما بعدها في تقدير المصدر، قلنا هذا ممنوع وبيانه أن سيبويه والأخفش اختلفا في أنه هل يجوز أن يقال أعجبني ما قمت أي قيامك فجوزه سيبويه ومنعه الأخفش وزعم أن هذا لا يجوز إلا في الفعل المتعدي وذلك يدل على أن ما مع ما بعدها في تقدير المفعول عند الأخفش، سلمنا أن ذلك قد يكون بمعنى المصدر، لكنه أيضاً قد يكون بمعنى المفعول ويدل عليه وجوه الأول: قوله: {أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ} والمراد بقوله: {مَا تَنْحِتُونَ} المنحوت لا النحت لأنهم ما عبدوا النحت وإنما عبدوا المنحوت فوجب أن يكون المراد بقوله: {مَا تَعْمَلُونَ} المعمول لا العمل حتى يكون كل واحد من هذين اللفظين على وفق الآخر والثاني: أنه تعالى قال: {فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ} [الأعراف 117]وليس المراد أنها تلقف نفس الإفك بل أراد العصي والحبال التي هي متعلقات ذلك الإفك فكذا ههنا الثالث: أن العرب تسمي محل العمل عملاً يقال في الباب والخاتم هذا عمل فلان والمراد محل عمله فثبت بهذه الوجوه الثلاثة أن لفظة ما مع بعدها كما تجيء بمعنى المصدر فقد تجيء أيضاً بمعنى المفعول فكان حمله ههنا على المفعول أولى لأن المقصود في هذه الآية تزييف مذهبهم في عبادة الأصنام لا بيان أنهم لا يوجدون أفعال أنفسهم، لأن الذي جرى ذكره في أول الآية إلى هذا الموضع هو مسألة عبادة الأصنام لا خلق الأعمال، واعلم أن هذه السؤالات قوية وفي دلائلنا كثيرة، فالأولى ترك الاستدلال بهذه الآية، والله أعلم.

تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ابن عطية (546 هـ)

قال القاضي أبو محمد :وزف بمعنى أسرع هو المعروف، ثم إن إبراهيم عليه السلام قال لهم في جملة محاورة طويلة قد تضمنتها الآية {أتعبدون ما تنحتون} أي تجعلون إلهاً معظماً شيئاً صنعتموه من عود أو حجر وعملتموه بأيديكم أخبرهم بخبر لا يمكنهم إنكاره وهو قوله {والله خلقكم} واختلف المتأولون في قوله {وما تعملون} ، فمذهب جماعة من

المفسرين أن {ما} مصدرية والمعنى أن الله خلقكم وأعمالكم، وهذه الآية عندهم قاعدة في خلق أفعال العباد وذلك موافق لمذهب أهل السنة في ذلك، وقالت {ما} بمعنى الذي، وقالت فرقة {ما} استفهام، وقالت فرقة هي نفي بمعنى وأنتم لا تعملون شيئا في وقت خلقكم ولا قبله، ولا تقدرون على شيء.

قال القاضي أبو محمد: والمعتزلة مضطرة إلى الزوال عن أن تجعل {ما} مصدرية، و "البنيان " قيل كان في موضع إيقاد النار، وقيل بل كان للمنجنيق الذي رمي عنه وقد تقدم قصص نار إبراهيم وجعلهم الله { الأسفلين } ، بأن غلبوا وذلوا ونالتهم العقوبات.

تفسير البحر المحيط: أبو حيان (754 هـ)

{قال أتعبدون ما تنحتون}: استفهام توبيخ وإنكار عليهم، كيف هم يعبدون صوراً صوّروها بأيديهم وشكلوها على ما يريدون من الأشكال؟ {والله خلقكم وما تعملون}: الظاهر أن ما موصولة بمعنى الذي معطوفة على الضمير في خلقكم، أي أنشأ ذواتكم وذوات ما تعملون من الأصنام، والعمل هنا هو التصوير والتشكيل، كما يقول: عمل الصائغ الخلخال، وعمل الحداد القفل، والنجار الخزانة؛ ويحمل ذلك على أن ما بمعنى الذي يتم الاحتجاج عليهم، بأن كلاً من الصنم وعابده هو مخلوق لله تعالى، والعابد هو المصور ذلك المعبود، فكيف يعبد مخلوق مخلوقاً؟ وكلاهما خلق الله، وهو المنفرد بإنشاء ذواتهما. والعابد مصور الصنم معبوده. و " ما " في: {ما تنحتون} بمعنى تأذى، فكذلك في {وما تعملون}، لأن نحتهم هو عملهم. وقيل: ما مصدرية، أي خلقكم وعملكم، وجعلوا ذلك قاعدة على خلق الله أفعال العباد .

وقد بدد الزمخشري تقابل هذه المقالة بما يوقف عليه في كتابه. وقيل: ما استفهام إنكاري، أي :وأي شيء تعملون في عبادتكم أصناماً تنحتونها؟ أي لا عمل لكم يعتبر. وقيل :ما نافية، أي وما أنتم تعملون شيئاً في وقت خلقكم ولا تقدرون على شيء. وكون ما مصدرية واستفهامية ونعتاً، أقوال متعلقة خارجة عن طريق البلاغة.

تفسير الجواهر الحسان في تفسير القرآن: الثعالبي (875 هـ)

وٱخْتَلَفَ المتأَوِّلُونَ في قوله: {وَمَا تَعْمَلُونَ} فَمَذْهَبُ جماعةٍ من المفسرين: أن «ما» مصدرية، والمعنى: أَنَّ اللَّهَ خَلَقَكُمْ وأَعْمَالَكُمْ، وهذه الآيةُ عندهُمْ قَاعِدَةٌ في خَلْقِ اللَّهِ تعالَىٰ أفْعَالَ العِبَادِ؛ وهو مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ، وقالت فرقة: «ما «بمعنى: الّذِي.

تفسير همیان الزاد إلى دار المعاد: اطفيش (1332 هـ)

أي وعملكم فما مصدرية فان اعمال العباد مخلوقة لله جل وعلا او وعملكم بمعنى معمولكم فما مصدرية أيضا لكن المصدر في هذا المعنى مفعول والداعي لهذا ان يوافق ما تنحتون فإنهم يعبدون ذلك بعد النحت لعنهم الله لكن في هذا الوجه مجاز وهو جعل المصدر بمعنى اسم مفعول ويجوز أن تكون ما اسما موصولا وفي هذا الوجه حذف أي تعملونه فالوجه الأول اولى لسلامته من المجاز والحذف وقد علمت ان اعمال العبد مخلوقة لله سبحانه هذا مذهبنا معشر الإباضية ومذهب الشافعية وغيرهم ثم ظهر لي أن تخريج الآية عليه ضعيف جدا مع أنه هو الحق ومن خالفه مبطل ضال فإنه لا

يخفي أن مراد ابراهيم انه خلقكم وما تعملونه وهو الوجه الثالث او خلقكم وما يكون مصنوعا بأيديكم وهو الوجه الثاني ولو قال خلقكم وخلق عملكم كما هو الوجه الاول لم يكن منتجا عليهم.

التبيان الجامع لعلوم القرآن: الطوسي (460 هـ)

فلما رآهم ابراهيم صلى الله عليه وآله اقبلوا عليه قال لهم على وجه الانكار عليهم والتبكيت لهم بفعلهم {أتعبدون ما تنحتون} فالألف ألف الاستفهام ومعناها الانكار ووجه التوبيخ انه كيف يصح أن يعبد الانسان ما يعمله بيده! فانهم كانوا ينحتون الاصنام بأيديهم، فكيف تصح عبادة من هذه حاله مضافاً إلى كونها جماداً!. ثم نبههم فقال {والله} تعالى هو الذي {خلقكم} وخلق الذي {تعملون} فيه من الاصنام، لأنها اجسام والله تعالى هو المحدث لها، وليس للمجبرة أن تتعلق بقوله {والله خلقكم وما تعملون} فتقول: ذلك يدل على ان الله خالق لأفعالنا، لأمور: احدها –ان موضوع كلام ابراهيم لهم بني على التقريع لهم لعبادتهم الاصنام، ولو كان ذلك من فعله تعالى لما توجه عليهم العيب، بل كان لهم ان يقولوا: لم توبخنا على عبادتنا للأصنام والله الفاعل لذلك، فكانت تكون الحجة لهم لا عليهم.

الثاني – انه قال لهم{أتعبدون ما تنحتون} ونحن نعلم أنهم لم يكونوا يعبدون نحتهم الذي هو فعلهم، وإنما كانوا يعبدون الاصنام التي هي الاجسام وهي فعل الله بلا شك .فقال لهم {والله خلقكم} وخلق هذه الاجسام. ومثله قوله{فإذا هي تلقف ما يأفكون}ومثله قوله{وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا} وعصا موسى لم تكن تلقف افكهم، وإنما كانت تتلقف الأجسام التي هي العصا والحبال.

ومنها ان (ما) في قوله {وما تعملون} لا يخلو من ان تكون بمعنى (الذي) او تقع مع بعدها بمنزلة المصدر، فان كانت بمعنى (الذي) فـ {تعملون} صلتها، ولا بد لها من عائد يعود اليها، فليس لهم أن يقدروا فيها ضميراً لها ليصح ما قالوه، لان لنا أن نقدر ضميراً فيه فيصح ما نقوله، ويكون التقدير: وما يعملون فيه، والذي يعملون فيه هي الاجسام وإن كانت مصدرية فانه يكون تقديره: والله خلقكم وعملكم، ونفس العمل يعبر به عن المعمول فيه بل لا يفهم في العرف إلا ذلك، يقال فلان يعمل الخوص، وفلان يعمل السروج، وهذا الباب من عمل النجار، والخاتم من عمل الصانع، ويريدون بذلك كله ما يعملون فيه، فعلى هذا تكون الأوثان عملا لهم بما يحدثون فيها من النحت والنجر، على أنه تعالى اضاف العمل اليهم بقوله { وما تعملون } فكيف يكون ما هو مضاف اليهم مضافا إلى الله تعالى وهل يكون ذلك إلا متناقضاً.

الميزان في تفسير القرآن: الطباطبائي (1401 هـ)

قوله تعالى {قال أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعبدون} فيه إيجاز وحذف من حديث القبض عليه والإتيان به على أعين الناس ومسألته وغيرها. والاستفهام للتوبيخ وفيه مع ذلك احتجاج على بطلان طريقتهم فهو يقول لا يصلح ما نحته الإنسان بيده أن يكون رباً للإنسان معبوداً له والله سبحانه خلق الإنسان وما يعمله والخلق لا ينفك عن التدبير فهو رب الإنسان ومن السفه أن يترك هذا ويعبد ذاك. وقد بان بذلك أن الأظهر كون ما في قوله {ما تنحتون} موصولة والتقدير ما تنحتونه، وكذا في قوله {وما تعملون} وجوز بعضهم كون {ما} فيها مصدرية وهو في أولهما بعيد جداً. ولا ضير في نسبة الخلق إلى ما عمله الإنسان أو إلى عمله لأن ما يريده الإنسان ويعمله من طريق

اختياره مراد الله سبحانه من طريق إرادة الإنسان واختياره ولا يوجب هذا النوع من تعلق الإرادة بالفعل بطلان تأثير إرادة الإنسان وخروج الفعل عن الاختيار وصيرورته مجبراً عليه، وهو ظاهر.

ولو كان المراد نسبة خلق أعمالهم إلى الله سبحانه بلا واسطة ولا من طريق إرادتهم بل بتعلق إرادته بنفس عملهم وأفاد الجبر لكان القول أقرب إلى أن يكون عذراً لهم من أن يكون توبيخاً وتقبيحاً، وكانت الحجة لهم لا عليهم.

المعالجة:

- استخرج وجه الإشكال في الآية.
- حدّد الآراء المختلفة في تفسير الإشكال أو الإشكالات الموجودة حسب كلّ مفسّر.
- قدّر بالأدلّة مَن مِن المفسّرين الذي حقّق نموّا معرفيّا أكبر من غيره.
- سجّل ملاحظاتك الخاصّة.

اكتب التفسير الأمثل للإشكال الموجود في الآية.

3. **الآية الثالثة: هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّآ أَثْقَلَتْ دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّاكِرِينَ﴾** (الآعراف: 189).

جامع البيان في تفسير القرآن: الطبري (310 هـ)

يقول تعالى ذكره : {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ}. يعني بالنفس الواحدة :آدم كما: حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن رجل، عن مجاهد :{خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ} قال: آدم عليه السلام. حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ} من آدم. ويعني بقوله: {وَجَعَلَ مِنْها زَوْجَها}: وجعل من النفس الواحدة، وهو آدم، زوجها حوّاء كما: حدثني بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: { وَجَعَلَ مِنْها زَوْجَها} :حوّاء، فجُعلت من ضِلَع من أضلاعه ليسكن إليها. ويعني بقوله: {لِيَسْكُنَ إِلَيْها}: ليأوى إليها لقضاء الحاجة ولذّته. ويعني بقوله: {فَلَمَّا تَغَشَّاها} فلما تدثرها لقضاء حاجته منها فقضى حاجته منها، {حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً} وفي الكلام محذوف ترك ذكره استغناء بما ظهر عما حذف، وذلك قوله: {فَلَمَّا تَغَشَّاها حَمَلَتْ} وإنما الكلام: فلما تغشاها فقضى حاجته منها حملت. وقوله: {حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً} يعني بخفة الحمل: الماء الذي حملته حوّاء في رحمها من آدم أنه كان حملاً خفيفاً، وكذلك هو حمل المرأة ماء الرجل خفيف عليها. وأما قوله: {فَمَرَّتْ بِهِ} فإنه يعني: استمرّت بالماء: قامت به وقعدت، وأتمت الحمل. كما: حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو أسامة، عن أبي عمير، عن أيوب، قال: سألت الحسن عن قوله: {حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ} قال: لو كنت امرأً عربيًّا لعرفت ما هي، إنما هي: فاستمرّت به. حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: {فَلَمَّا تَغَشَّاها حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفا فَمَرَّتْ بِهِ} استبان حملها. حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: {فَمَرتْ بِهِ} قال: استمرّ حملها .حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله : {حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً} قال: هي النطفة. وقوله {فَمَرتْ بِهِ} يقول: استمرّت به. وقال آخرون: معنى ذلك: فشكّت فيه. ذكر من قال ذلك .حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله: {فَمَرَّتْ بِهِ} قال: فشكت أحملت أم لا .ويعني بقوله: {فَلَمَّا أَثْقَلَتْ} فلما صار ما في بطنها من الحمل الذي كان خفيفاً ثقيلاً ودنت ولادتها، يقال منه: أثقلت فلانة إذا صارت ذات ثقل بحملها كما يقال: أتمر فلان: إذا صار ذا تمر. كما: حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: {فَلَمَّا أَثْقَلَتْ}: كبر الولد في بطنها. قال أبو جعفر: {دَعَوَا اللهَ رَبَّهُما} ، يقول: نادى آدم وحوّاء ربهما وقالا: يا ربنا لئن آتيتنا صالحاً لنكونَّ من الشاكرين.

واختلف أهل التأويل في معنى الصلاح الذي أقسم آدم وحوّاء عليهما السلام أنه إن آتاهما صالحاً في حمل حوّاء لنكونّ من الشاكرين. فقال بعضهم: ذلك هو أن يكون الحمل غلاماً. ذكر من قال ذلك. حدثني محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، قال: قال الحسن، في قوله: {لَئِنْ آتَيْتَنا صَالِحا} قال: غلاماً. وقال آخرون: بل هو أن يكون المولود بشراً سويًّا مثلهما، ولا يكون بهيمة. ذكر من قال ذلك. حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا

أبي، عن سفيان، عن زيد بن جبير الحسمي، عن أبي البَخْتري، في قوله : {لَئِنْ آتَيْتَنا صَالِحاً لَنَكُونَنَّ مِن الشَّاكِرِينَ} قال: أشفقا أن يكون شيئاً دون الإنسان. قال: ثنا يحيى بن يمان، عن سفيان، عن زيد بن جبير، عن أبي البَخْتري، قال: أشفقا أن لا يكون إنساناً. قال: ثنا محمد بن عبيد، عن إسماعيل، عن أبي صالح، قال: لما حملت امرأة آدم فأثقلت، كان يشفقان أن يكون بهيمة، {فَدَعَوَا رَبَّهُما لَئِنْ آتَيْتَنا صَالِحاً...} الآية. قال: ثنا جابر بن نوح، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس، قال: أشفقا أن يكون بهيمة. حدثني القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال سعيد بن جبير: لما هبط آدم وحوّاء، أُلقيت الشهوة في نفسه فأصابها، فليس إلاَّ أن أصابها حملت، فليس إلاَّ أن حملت تحرّك في بطنها ولدها، قالت: ما هذا؟ فجاءها إبليس، فقال: أترين في الأرض إلاَّ ناقة أو بقرة أو ضائنة أو ماعزة.؟هو بعض ذلك .قالت: والله ما منى شيء إلاَّ وهو يضيق عن ذلك. قال: فأطيعيني وسميه عبد الحرث تلدي شِبْهكما مثلكما قال: فذكرت ذلك لآدم عليه السلام، فقال: هو صاحبنا الذي قد أخرجنا من الجنة. فمات، ثم حملت بآخر، فجاءها فقال :أطيعيني وسميه عبد الحرث وكان اسمه في الملائكة الحرث وإلاَّ ولدتِ ناقة أو بقرة أو ضائنة أو ماعزة، أو قتلتُه، فإني أنا قتلت الأول قال :فذكرت ذلك لآدم، فكأنه لم يكرهه، فسمَّته عبد الحرث، فذلك قوله: {لَئِنْ آتَيْتَنا صَالِحاً} يقول: شبهنا مثلنا، {فلما آتَاهُمَا صَالِحاً} قال: شِبْههما مثلهما. حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: {فَلَمَّا أَثْقَلَتْ} كبر الولد في بطنها جاءها إبليس، فخوّفها وقال لها: ما يدريك ما في بطنك، لعله كلب أو خنزير أو حمار؟ وما يدريك من أين يخرج؟ أمن دبرك فيقتلك، أو من قُبلك، أو ينشقّ بطنك فيقتلك؟ فذلك حين {دَعَوَا اللهَ رَبَّهُما لَئِنْ آتَيْتَنا صَالِحاً} يقول :مثلنا، {لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ}. قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أخبر عن آدم وحوّاء أنهما دعوا الله ربهما بحمل حَوّاء، وأقسما لئن أعطاهما في بطن حوّاء صالحاً ليكونان لله من الشاكرين. والصلاح قد يشمل معاني كثيرة: منها الصلاح في استواء الخلق .ومنها الصلاح في الدين، والصلاح في العقل والتدبير. وإذ كان ذلك كذلك، ولا خبر عن الرسول يوجب الحجة بأن ذلك على بعض معاني الصلاح دون بعض، ولا فيه من العقل دليل وجب أن يَعُمّ كما عمه الله، فيقال إنهما قالا: {لئن آتيتنا صالحاً} بجميع معاني الصلاح. وأما معنى قوله: {لَنَكُونَنَّ مِنَ الشاكِرِينَ} فإنه لنكوننّ ممن يشكرك على ما وهبت له من الولد صالحاً.

الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: الزمخشري (538 هـ)

{مّن نَّفْسٍ وٰحِدَةٍ} وهي نفس آدم عليه السلام {وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا} وهي حواء، خلقها من جسد آدم من ضلع من أضلاعه. أو من جنسها كقوله {جَعَلَ لَكُمْ مّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا} النمل 72 {لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا} ليطمئن إليها ويميل ولا ينفر لأن الجنس إلى الجنس أميل وبه آنس، وإذا كانت بعضاً منه كان السكون والمحبة أبلغ، كما يسكن الإنسان إلى ولده ويحبه محبة نفسه لكونه بضعة منه. وقال {لِيَسْكُنَ} فذكر بعد ما أنث في قوله «واحدة» «منها زوجها»، ذهابا إلى معنى النفس ليبين أن المراد بها آدم. ولأن الذكر هو الذي يسكن إلى الأنثى ويتغشاها، فكان التذكير أحسن طباقاً للمعنى. والتغشي كناية عن الجماع، وكذلك الغشيان والإتيان {حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا} خف عليها، ولم تلق منه ما يلقى بعض الحبالي من حملهن من الكرب والأذى، ولم تستثقله كما يستثقلنه. وقد تسمع بعضهن تقول في ولدها ما كان أخفه على كبدي حين حملته {فَمَرَّتْ بِهِ} فمضت به إلى وقت ميلاده من غير إخداج ولا إزلاق وقيل {حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا}

يعني النطفة {فَمَرَّتْ بِهِ} فقامت به وقعدت. وقرأ ابن عباس رضي الله عنه «فاستمرت به» وقرأ يحيى بن يعمر «فمرت به» بالتخفيف. وقرأ غيره «فمارت به» من المرية، كقوله {أَفَتُمَٰرُونَهُ} وأفتمرونه. ومعناه فوقع في نفسها ظن الحمل، فارتابت به. {فَلَمَّا أَثْقَلَت} حان وقت ثقل حملها كقولك أقربت. وقرىء «أُثقلت»، على البناء للمفعول أي أثقلها الحمل {دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا} دعا آدم وحواء رَبَّهما ومالِكَ أمرهما الذي هو الحقيقي بأن يدعى ويلتجأ إليه فقالا {لَئِنْ ءاتَيْتَنَا} لئن وهبت لنا {صَٰلِحاً} ولداً سوياً قد صلح بدنه وبرىء. وقيل ولداً ذكراً، لأن الذكورة من الصلاح والجودة. والضمير في {ءَاتَيْتَنَا} و {لَّنَكُونَنَّ} لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما {فَلَمَّا ءاتَٰهُمَا} ما طلباه من الولد الصالح السويّ {جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاء} أي جعل أولادهما له شركاء، على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، وكذلك {فِيمَا ءاتَٰهُمَا} أي آتى أولادهما، وقد دلّ على ذلك بقوله {فتعالى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} حيث جمع الضمير. وآدم وحواء بريئان من الشرك. ومعنى إشراكهم فيما آتاهم الله تسميتهم أولادهم بعبد العزى وعبد مناة، وعبد شمس وما أشبه ذلك، مكان عبد الله وعبد الرحمٰن وعبد الرحيم. ووجه آخر وهو أن يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم آل قصي ألا ترى إلى قوله في قصة أم معبد.

فَيَا لَقُصَيّ مَا زَوَى اللَّهُ عَنْكُم بِهِ مِنْ فَخَارٍ لاَ

يُبَارَى وَسُودَدِ

ويراد هو الذي خلقكم من نفس قصيّ، وجعل من جنسها زوجها عربية قرشية ليسكن إليها، فلما آتاهما ما طلبا من الولد الصالح السويّ جعلا له شركاء فيما آتاهما، حيث سميا أولادهما الأربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصيّ وعبد الدار، وجعل الضمير في {يُشْرِكُونَ} لهما ولأعقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك، وهذا تفسير حسن لا إشكال فيه. وقرىء «شركا»، أي ذوي شرك وهم الشركاء، أو أحدثا لله شركاً في الولد.

مفاتيح الغيب: الرازي (606 هـ)

اعلم أنه تعالى رجع في هذه الآية إلى تقرير أمر التوحيد وإبطال الشرك وفيه مسائل: المسألة الأولى: المروي عن ابن عباس {هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ مّن نَّفْسٍ وٰحِدَةٍ} وهي نفس آدم {وجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا} أي حواء خلقها الله من ضلع آدم عليه السلام من غير أذى {فَلَمَّا تَغَشَّاهَا } آدم {حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَلَمَّا أَثْقَلَت} أي ثقل الولد في بطنها أتاها إبليس في صورة رجل وقال: ما هذا يا حواء إني أخاف أن يكون كلباً أو بهيمة وما يدريك من أين يخرج؟ أمن دبرك فيقتلك أو ينشق بطنك؟ فخافت حواء، وذكرت ذلك لآدم عليه السلام، فلم يزالا في هم من ذلك، ثم أتاها وقال: إن سألت الله أن يجعله صالحاً سوياً مثلك ويسهل خروجه من بطنك تسميه عبد الحرث، وكان اسم إبليس في الملائكة الحرث فذلك قوله: {فَلَمَّا ءاتَٰهُمَا صَٰلِحاً جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاء فِيمَا ءاتَٰهُمَا} أي لما آتاهما الله ولداً سوياً صالحاً جعلا له شريكاً أي جعل آدم وحواء له شريكاً، والمراد به الحرث هذا تمام القصة. واعلم أن هذا التأويل فاسد ويدل عليه وجوه: الأول: أنه تعالى قال: {فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} وذلك يدل على أن الذين أتوا بهذا الشرك جماعة. الثاني: أنه تعالى قال بعده : {أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ} [الأعراف:191] وهذا يدل على أن المقصود من هذه الآية الرد على من جعل الأصنام شركاء لله تعالى، وما جرى لإبليس اللعين في هذه الآية ذكر. الثالث: لو كان المراد إبليس لقال: أيشركون من لا يخلق شيئاً، ولم يقل ما لا يخلق شيئاً، لأن العاقل إنما يذكر بصيغة «من» لا بصيغة «ما» الرابع: أن آدم

عليه السلام كان أشد الناس معرفة بإبليس، وكان عالماً بجميع الأسماء كما قال تعالى: {وَعَلَّمَ ءادَمَ ٱلأَسْمَاء كُلَّهَا} فكان لا بد وأن يكون قد علم أن اسم إبليس هو الحرث فمع العداوة الشديدة التي بينه وبين آدم ومع علمه بأن اسمه هو الحرث كيف سمى ولد نفسه بعبد الحرث؟ وكيف ضاقت عليه الأسماء حتى أنه لم يجد سوى هذا الاسم؟ الخامس: أن الواحد منا لو حصل له ولد يرجو منه الخير والصلاح، فجاءه إنسان ودعاه إلى أن يسميه بمثل هذه الأسماء لزجره وأنكر عليه أشد الإنكار. فآدم عليه السلام مع نبوته وعلمه الكثير الذي حصل من قوله: {وَعَلَّمَ ءادَمَ ٱلأَسْمَاء كُلَّهَا }[البقرة: 31] وتجاربه الكثيرة التي حصلت له بسبب الزلة التي وقع فيها لأجل وسوسة إبليس، كيف لم يتنبه لهذا القدر وكيف لم يعرف أن ذلك من الأفعال المنكرة التي يجب على العاقل الاحتراز منها السادس: أن بتقدير أن آدم عليه السلام، سماه بعبد الحرث، فلا يخلو إما أن يقال إنه جعل هذا اللفظ اسم علم له، أو جعله صفة له، بمعنى أنه أخبر بهذا اللفظ أنه عبد الحرث ومخلوق من قبله.

فإن كان الأول لم يكن هذا شركاً بالله لأن أسماء الأعلام والألقاب لا تفيد في المسميات فائدة، فلم يلزم من التسمية بهذا اللفظ حصول الإشراك، وإن كان الثاني كان هذا قولاً بأن آدم عليه السلام اعتقد أن لله شريكاً في الخلق والإيجاد والتكوين وذلك يوجب الجزم بتكفير آدم، وذلك لا يقوله عاقل. فثبت بهذه الوجوه أن هذا القول فاسد ويجب على العاقل المسلم أن لا يلتفت إليه. إذا عرفت هذا فنقول :في تأويل الآية وجوه صحيحة سليمة خالية عن هذه المفاسد. التأويل الأول: ما ذكره القفال فقال: إنه تعالى ذكر هذه القصة على تمثيل ضرب المثل وبيان أن هذه الحالة صورة حالة هؤلاء المشركين في جهلهم، وقولهم بالشرك، وتقرير هذا الكلام كأنه تعالى يقول: هو الذي خلق كل واحد منكم من نفس واحدة وجعل من جنسها زوجها إنساناً يساويه في الإنسانية، فلما تغشى الزوج زوجته وظهر الحمل، دعا الزوج والزوجة ربهما لئن آتيتنا ولداً صالحاً سوياً لنكونن من الشاكرين لآلائك ونعمائك. فلما آتاهما الله ولداً صالحاً سوياً، جعل الزوج والزوجة لله شركاء فيما آتاهما، لأنهم تارة ينسبون ذلك الولد إلى الطبائع كما هو قول الطبائعيين، وتارة إلى الكواكب كما هو قول المنجمين، وتارة إلى الأصنام والأوثان كما هو قول عبدة الأصنام. ثم قال تعالى: {فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} أي تنزه الله عن ذلك الشرك، وهذا جواب في غاية الصحة والسداد. التأويل الثاني: بأن يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم آل قصي، والمراد من قوله: هو الذى خلقكم من نفس قصي وَجعل من جنسها زوجها عربية قرشية ليسكن إليها، فلما آتاهما ما طلبا من الولد الصالح السوي جعلا له شركاء فيما آتاهما حيث سميا أولادهما الأربعة بعبد مناف، وعبد العزى، وعبد قصي، وعبد اللات، وجعل الضمير في {يُشْرِكُونَ} لهما ولأعقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك .التأويل الثالث: أن نسلم أن هذه الآية وردت في شرح قصة آدم عليه السلام وعلى هذا التقدير ففي دفع هذا الإشكال وجوه: الأول: أن المشركين كانوا يقولون إن آدم عليه السلام كان يعبد الأصنام، ويرجع في طلب الخير ودفع الشر إليها، فذكر تعالى قصة آدم وحواء عليهما السلام، وحكى عنهما أنهما قالا : {لَئِنْ ءاتَيْتَنَا صَٰلِحاً لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ} أي ذكرا أنه تعالى لو آتاهما ولداً سوياً صالحاً لاشتغلوا بشكر تلك النعمة، ثم قال: {فَلَمَّا ءاتَٰهُمَا صَٰلِحاً جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاء} فقوله: {جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاء} ورد بمعنى الاستفهام على سبيل الإنكار والتبعيد، والتقرير: فلما آتاهما صالحاً أجعلا له شركاء فيما آتاهما؟ ثم قال: {فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} أي تعالى الله عن شرك هؤلاء المشركين الذين يقولون بالشرك وينسبونه إلى آدم عليه السلام، ونظيره أن ينعم رجل على رجل بوجوه كثيرة من

الأنعام، ثم يقال لذلك المنعم: أن ذلك المنعم عليه يقصد ذمك وإيصال الشر إليك، فيقول ذلك المنعم: فعلت في حق فلان كذا وأحسنت إليه بكذا وكذا وأحسنت إليه بكذا وكذا، ثم إنه يقابلني بالشر والإساءة والبغي؟ على التبعيد فكذا ههنا.

الوجه الثاني: في الجواب أن نقول: أن هذه القصة من أولها إلى آخرها في حق آدم وحواء ولا إشكال في شيء من ألفاظها إلا قوله: {فَلَمَّا ءاتَٰهُمَا صَٰلِحاً جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاء فِيمَا ءاتَٰهُمَا} فنقول: التقدير، فلما آتاهما ولداً صالحاً سوياً جعلا له شركاء أي جعل أولادهما له شركاء على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، وكذا فيما آتاهما، أي فيما آتى أولادهما ونظيره قوله: {وَٱسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ} [يوسف 82]أي واسأل أهل القرية. فإن قيل: فعلى هذا التأويل ما الفائدة في التثنية في قوله: {جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاء}. قلنا: لأن ولده قسمان ذكر وأنثى فقوله: {جَعَلاَ} المراد منه الذكر والأنثى مرة عبر عنهما بلفظ التثنية لكونهما صنفين ونوعين، ومرة عبر عنهما بلفظ الجمع، وهو قوله تعالى{فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ}. الوجه الثالث: في الجواب سلمنا أن الضمير في قوله: {جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاء فِيمَا ءاتَٰهُمَا} عائد إلى آدم وحواء عليهما السلام، إلا أنه قيل: إنه تعالى لما آتاهما الولد الصالح عزما على أن يجعلاه وقفاً على خدمة الله وطاعته وعبوديته على الإطلاق. ثم بدا لهم في ذلك، فتارة كانوا ينتفعون به في مصالح الدنيا ومنافعها، وتارة كانوا يأمرونه بخدمة الله وطاعته. وهذا العمل وإن كان منا قربة وطاعة، إلا أن حسنات الأبرار سيئات المقربين، فلهذا قال تعالى{فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} والمراد من هذه الآية ما نقل عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال حاكياً عن الله سبحانه " " :أنا أغنى الأغنياء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه غيري تركته وشركه " " وعلى هذا التقدير: فالإشكال زائل. الوجه الرابع: في التأويل أن نقول: سلمنا صحة تلك القصة المذكورة، إلا أنا نقول: إنهم سموا بعبد الحرث لأجل أنهم اعتقدوا أنه إنما سلم من الآفة والمرض بسبب دعاء ذلك الشخص المسمى بالحرث، وقد يسمى المنعم عليه عبداً للمنعم. يقال في المثل: أنا عبد من تعلمت منه حرفاً، ورأيت بعض الأفاضل كتب على عنوان: كتابة عبد وده فلان. قال الشاعر:

وإني لعبد الضيف ما دام ثاويا ولا شيمة لي بعدها تشبه العبدا

فآدم وحواء عليهما السلام سميا ذلك الولد بعبد الحرث تنبيهاً على أنه إنما سلم من الآفات ببركة دعائه، وهذا لا يقدح في كونه عبد الله من جهة أنه مملوكه ومخلوقه، إلا أنا قد ذكرنا أن حسنات الأبرار سيئات المقربين فلما حصل الاشتراك في لفظ العبد لا جرم صار آدم عليه السلام معاتباً في هذا العمل بسبب الاشتراك الحاصل في مجرد لفظ العبد، فهذا جملة ما نقوله في تأويل هذه الآية. المسألة الثانية: في تفسير ألفاظ الآية وفيها مباحث: البحث الأول: قوله: {هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ مّن نَّفْسٍ وٰحِدَةٍ} المشهور أنها نفس آدم وقوله: {وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا} المراد حواء. قالوا ومعنى كونها مخلوقة من نفس آدم، أنه تعالى خلقها من ضلع من أضلاع آدم. قالوا: والحكمة فيه أن الجنس إلى الجنس أميل، والجنسية علة الضم، وأقول هذا الكلام مشكل لأنه تعالى لما كان قادراً على أن يخلق آدم ابتداء فما الذي حملنا على أن نقول أنه تعالى خلق حواء من جزء أجزاء آدم؟ ولم لا نقول: إنه تعالى خلق حواء أيضاً ابتداء؟ وأيضاً الذي يقدر على خلق إنسان من عظم واحد فلم لا يقدر على خلقه ابتداء، وأيضاً الذي يقال: إن عدد أضلاع الجانب الأيسر أنقص من عدد أضلاع الجانب الأيمن فيه مؤاخذة تنبي عن خلاف الحس والتشريح. بقي أن يقال :إذا لم نقل بذلك، فما المراد

من كلمة {مِنْ} في قوله: {وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا} فنقول: قد ذكرنا أن الإشارة إلى الشيء تارة تكون بحسب شخصه، وأخرى بحسب نوعه قال عليه الصلاة والسلام " " :هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به " " وليس المراد ذلك الفرد المعين بل المراد ذلك النوع. وقال عليه الصلاة والسلام " " :في يوم عاشوراء هذا هو اليوم الذي أظهر الله فيه موسى على فرعون " " والمراد خلق من النوع الإنساني زوجة آدم، والمقصود التنبيه على أنه تعالى جعل زوج آدم إنساناً مثله قوله: {فَلَمَّا تَغَشَّاهَا} أي جامعها، والغشيان إتيان الرجل المرأة وقد غشاها وتغشاها إذا علاها، وذلك لأنه إذا علاها فقد صار كالغاشية لها، ومثله يجللها، وهو يشبه التغطي واللبس. قال تعالى{هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ} وقوله: {حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا} قالوا يريد النطفة والمني والحمل بالفتح ما كان في البطن أو على رأس الشجر، والحمل بكسر الحاء ما حمل على ظهر أو على الدابة .وقوله: {فَمَرَّتْ بِهِ} أي استمرت بالماء والحمل على سبيل الخفة، والمراد أنها كانت تقوم وتقعد وتمشي من غير ثقل. قال صاحب «الكشاف»: وقرأ يحيى بن يعمر {فَمَرَّتْ بِهِ} بالتخفيف وقرأ غيره {فمارت به} من المرية.

كقوله: {أَفَتُمَٰرُونَهُ []}النجم: 12] وفي قراءة أخرى {أَفَتُمَٰرُونَهُ} معناه وقع في نفسها ظن الحمل وارتابت فيه {فَلَمَّا أَثْقَلَت} أي صارت إلى حال الثقل ودنت ولادتها {دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا} يعني آدم وحواء {لَئِنْ ءاتَيْتَنَا صَٰلِحاً} أي ولداً سوياً مثلنا {لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ} لآلائك ونعمائك {فَلَمَّا ءاتَٰهُمَا} الله {صَٰلِحاً جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاء فِيمَا ءاتَٰهُمَا} والكلام في تفسيره قد مر بالاستقصاء قرأ ابن كثير وابن عامر، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وعاصم، في رواية حفص عَنْهُ شُرَكَاء بصيغة الجمع وقرأ نافع وعاصم في رواية أبي بكر عَنْهُ بكسر الشين وتنوين الكاف ومعناه جعلا له نظراء ذوي شرك وهم الشركاء، أو يقال معناه أحدثا لله إشراكاً في الولد ومن قرأ {شُرَكَاء} فحجته قوله: {أَمْ جَعَلُواْ للَّهِ شُرَكَاء خَلَقُواْ} [الرعد:16] وأراد بالشركاء في هذه الآية إبليس لأن من أطاع إبليس فقد أطاع جميع الشياطين، هذا إذا حملنا هذه الآية على القصة المشهورة، أما إذا لم نقل به فلا حاجة إلى التأويل والله أعلم.

تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (774 ه)

ينبه تعالى على أنه خلق جميع الناس من آدم عليه السلام. وأنه خلق منه زوجته حواء، ثم انتشر الناس منهما كما قال تعالى{يَٰأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عَندَ ٱللَّهِ أَتْقَاكُمْ} الحجرات 13 وقال تعالى {يَٰأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا} النساء 1 الآية، وقال في هذا الآية الكريمة {وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا} أي ليألفها ويسكن بها كقوله تعالى {وَمِنْ ءايَٰتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجاً لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً} الروم 21 فلا ألفة بين روحين أعظم مما بين الزوجين، ولهذا ذكر تعالى أن الساحر ربما توصل بكيده إلى التفرقة بين المرء وزوجه {فَلَمَّا تَغَشَّاهَا} أي وطئها {حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا} وذلك أول الحمل لا تجد المرأة له ألماً، إنما هي النطفة ثم العلقة ثم المضغة. وقوله {فَمَرَّتْ بِهِ} قال مجاهد استمرت بحمله، وروي عن الحسن وإبراهيم النخعي والسدي نحوه، وقال ميمون بن مهران عن أبيه استخفته. وقال أيوب سألت الحسن عن قوله {فَمَرَّتْ بِهِ} قال لو كنت رجلاً عربياً، لعرفت ما هي؟ إنما هي فاستمرت به، وقال قتادة {فَمَرَّتْ بِهِ} استبان حملها. وقال ابن جرير معناه استمرت بالماء، قامت به وقعدت. وقال العوفي عن ابن عباس استمرت به، فشكت أحملت أم لا؟ {فَلَمَّآ أَثْقَلَت} أي صارت ذات ثقل بحملها. وقال السدي كبر الولد في بطنها {دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا

لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحاً} أي بشراً سوياً كما قال الضحاك عن ابن عباس أشفقا أن يكون بهيمة، وكذلك قال أبو البختري وأبو مالك أشفقا أن لا يكون إنساناً. وقال الحسن البصري لئن آتيتنا غلاماً {لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ فَلَمَّآ ءَاتَٰهُمَا صَٰلِحاً جَعَلاَ لَهُ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَٰهُمَا فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} يذكر المفسرون ههنا آثاراً وأحاديث سأوردها وأبين ما فيها، ثم نتبع ذلك ببيان الصحيح في ذلك إن شاء الله وبه الثقة، قال الإمام أحمد في مسنده حدثنا عبد الصمد حدثنا عمر بن إبراهيم، حدثنا قتادة عن الحسن عن سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "لما ولدت حواء، طاف بها إبليس، وكان لا يعيش لها ولد، فقال سميه عبد الحارث، فإنه يعيش، فسمته عبد الحارث، فعاش، وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره " وهكذا رواه ابن جرير عن محمد بن بشار عن بندار عن عبد الصمد بن عبد الوارث به، ورواه الترمذي في تفسير هذه الآية عن محمد بن المثنى عن عبد الصمد به، وقال هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عمر بن إبراهيم، ورواه بعضهم عن عبد الصمد ولم يرفعه، ورواه الحاكم في مستدركه من حديث عبد الصمد مرفوعاً، ثم قال هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

ورواه الإمام أبو محمد بن أبي حاتم في تفسيره عن أبي زرعة الرازي عن هلال بن فياض عن عمر بن إبراهيم به مرفوعاً. وكذا رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره من حديث شاذ بن فياض عن عمر بن إبراهيم به مرفوعاً، قلت وشاذ هو هلال، وشاذ لقبه، والغرض أن هذا الحديث معلول من ثلاثة أوجه أحدها أن عمر بن إبراهيم هذا هو البصري، وقد وثقه ابن معين، ولكن قال أبو حاتم الرازي لا يحتج به، ولكن رواه ابن مردويه من حديث المعتمر عن أبيه عن الحسن عن سمرة مرفوعاً، فالله أعلم. الثاني أنه قد روي من قول سمرة نفسه ليس مرفوعاً، كما قال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى، حدثنا المعتمر عن أبيه، حدثنا بكر بن عبد الله بن سليمان التيمي عن أبي العلاء بن الشخير عن سمرة بن جندب قال سمى آدم ابنه عبد الحارث. الثالث أن الحسن نفسه فسر الآية بغير هذا، فلو كان هذا عنده عن سمرة مرفوعاً، لما عدل عنه. قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا سهل بن يوسف عن عمرو عن الحسن {جَعَلاَ لَهُ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَٰهُمَا} قال كان هذا في بعض أهل الملل، ولم يكن بآدم. وحدثنا محمد بن عبد الأعلى، حدثنا محمد بن ثور عن معمر قال قال الحسن عنى بها ذرية آدم ومن أشرك منهم بعده، يعني {جَعَلاَ لَهُ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَٰهُمَا}. وحدثنا بشر، حدثنا يزيد، حدثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول هم اليهود، والنصارى، رزقهم الله أولاداً، فهودوا ونصروا، وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن رضي الله عنه أنه فسر الآية بذلك، وهو من أحسن التفاسير وأولى ما حملت عليه الآية، ولو كان هذا الحديث عنده محفوظاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عدل عنه هو ولا غيره، ولا سيما مع تقواه لله وورعه، فهذا يدلك على أنه موقوف على الصحابي، ويحتمل أنه تلقاه من بعض أهل الكتاب ممن آمن منهم مثل كعب أو وهب بن منبه وغيرهما، كما سيأتي بيانه إن شاء الله، إلا أننا برئنا من عهدة المرفوع، والله أعلم. فأما الآثار، فقال محمد بن إسحاق بن يسار عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال كانت حواء تلد لآدم عليه السلام أولاداً، فيعبدهم لله، ويسميهم عبد الله، وعبيد الله، ونحو ذلك، فيصيبهم الموت، فأتاهما إبليس، فقال إنكما لو سميتماه بغير الذي تسميانه به، لعاش، قال فولدت له رجلاً، فسماه عبد الحارث، ففيه أنزل الله يقول {هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ} -إلى قوله - {جَعَلاَ لَهُ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَٰهُمَا} إلى آخر الآية، وقال العوفي عن ابن عباس قوله في آدم { هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ } شكت أحملت أم لا؟ {فَلَمَّآ

أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحاً لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ} فأتاهما الشيطان، فقال هل تدريان ما يولد لكم؟ أم هل تدريان ما يكون، أبهيمة أم لا؟ وزين لهما الباطل، إنه غوي مبين، وقد كانت قبل ذلك ولدت ولدين فماتا، فقال لهما الشيطان إنكما إن لم تسمياه بي لم يخرج سوياً، ومات كما مات الأول، فسميا ولدهما عبد الحارث، فذلك قول الله تعالى {فَلَمَّآ ءَاتَٰهُمَا صَٰلِحاً جَعَلاَ لَهُ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَٰهُمَا} الآية.

وقال عبد الله بن المبارك عن شريك عن خصيف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله {فَلَمَّآ ءَاتَٰهُمَا صَٰلِحاً جَعَلاَ لَهُ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَٰهُمَا} قال قال الله تعالى {هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا آدم {حَمَلَتْ } فأتاهما إبليس لعنه الله فقال إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة لتطيعاني، أو لأجعلن له قرني أيل فيخرج من بطنك فيشقه، ولأفعلن ولأفعلن يخوفهما، فسمّياه عبد الحارث، فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتاً، ثم حملت الثانية، فأتاهما أيضاً فقال أنا صاحبكما الذي فعلت ما فعلت، لتفعلن أو لأفعلن – يخوفهما – فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتاً، ثم حملت الثالثة، فأتاهما أيضاً، فذكر لهما، فأدركهما حب الولد، فسمَّياه عبد الحارث، فذلك قوله تعالى {جَعَلاَ لَهُ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَٰهُمَا} رواه ابن أبي حاتم. وقد تلقى هذا الأثر عن ابن عباس جماعة من أصحابه كمجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة، ومن الطبقة الثانية قتادة والسدي وغير واحد من السلف، وجماعة من الخلف، ومن المفسرين من المتأخرين جماعات لا يحصون كثرة، وكأنه – والله أعلم – أصله مأخوذ من أهل الكتاب، فإن ابن عباس رواه عن أبي بن كعب، كما رواه ابن أبي حاتم حدثنا أبي، حدثنا أبو الجماهر، حدثنا سعيد، يعني ابن بشير، عن عقبة عن قتادة عن مجاهد عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال لما حملت حواء، أتاها الشيطان فقال لها أتطيعيني ويسلم لك ولدك؟ سميه عبد الحارث، فلم تفعل، فولد فمات، ثم حملت، فقال لها مثل ذلك، فلم تفعل، ثم حملت الثالثة، فجاءها فقال إن تطيعيني يسلم، وإلا فإنه يكون بهيمة، فهيبهما، فأطاعا. وهذه الآثار يظهر عليها – والله أعلم – أنها من آثار أهل الكتاب، وقد صح الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال "إذا حدثكم أهل الكتاب، فلا تصدقوهم، ولا تكذبوهم " ثم أخبارهم على ثلاثة أقسام، فمنها ما علمنا صحته بما دل عليه الدليل من كتاب الله أو سنة رسوله، ومنها ما علمنا كذبه بما دل على خلافه من الكتاب والسنة أيضاً، ومنها ما هو مسكوت عنه، فهو المأذون في روايته بقوله عليه السلام

"حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج " وهو الذي لا يصدق ولا يكذب لقوله "فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم " وهذا الأثر هو من القسم الثاني، أو الثالث، فيه نظر، فأما من حدث به من صحابي أو تابعي، فإنه يراه من القسم الثالث، وأما نحن، فعلى مذهب الحسن البصري رحمه الله في هذا، وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء، وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته، وهو كالاستطراد من ذكر الشخص إلى الجنس، كقوله : {وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ} الملك 5 الآية، ومعلوم أن المصابيح، وهي النجوم التي زينت بها السماء، ليست هي التي يرمى بها، وإنما هذا استطراد من شخص المصابيح إلى جنسها، ولهذا نظائر في القرآن، والله أعلم.

تفسير المنار: محمد رشيد رضا (1354 هـ)

افتتحت هذه السورة بدعوة القرآن إلى دين التوحيد والأمر باتباع ما أنزل الله، والنهي عن اتباع أولياء من دونه، وتلاه التذكير بنشأة الإنسان الأولى في الخلق والتكوين، والعداوة بينه وبين الشيطان، ثمّ اختتمت بهذه المعاني، وهو التذكير بالنشأة الأولى والنهي عن الشرك واتباع وسوسة الشيطان، والأمر بالتوحيد واتباع القرآن، قال تعالى:

{هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ} أي خلقكم من جنس واحد أو حقيقة واحدة صورها بشراً سويا، {وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا} سكوناً زوجياً، أي جعل لها زوجاً من جنسها فكانا زوجين ذكراً وأنثى كما قال تعالى: {يأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ} [الحجرات: 13] كما أنّه خلق من كلّ جنس وكلّ نوع من الأحياء زوجين اثنين قال عزَّ وجلّ {وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [الذاريات: 49] وإننا نشاهد أن كلّ خلية من الخلايا التي ينمى بها الجسم الحي تنطوي على نويّتين ذكر وأنثى يقترنان فيولد بينهما خلية أخرى، وهلم جراً، ونعلم أيضاً، كيف يتكوّن في الأرحام كلّ من الزوجين كما قال تعالى: {وَأَنَّهُ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلأُنثَىٰ * مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ}[النجم: 45-46] ولكننا لا ندري كيف ازدوجت النفس الأولى بعد وحدتها فكانت ذكراً وأنثى، قال تعالى: {مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ وَلاَ خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ} [الكهف: 51].

وفي التوراة التي عند أهل الكتاب أن حواء خلقت من ضلع من أضلاع آدم وقد أمرنا نبينا صلى الله عليه وسلم أن لا نصدّق أهل الكتاب ولا نكذبهم أي فيما لا نص فيه عندنا لإحتماله، فنحن نعمل بأمره صلى الله عليه وسلم في هذا الخبر وأن حمل عليه بعض المفسرين وغيرهم حديث " :استوصوا بالنساء فإن المرأة خلقت من ضلع وأن أعوج شيء في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء " رواه الشيخان من حديث أبي هريرة مرفوعاً، فإن المتبادر منه الذي اعتمده الشراح في تفسيره أن المراد بخلقها منه أنّها ذات إعوجاج وشذوذ تخالف به الرجل كما يشير إليه ما رواه ابن حبان عن أبي هريرة "أن المرأة خلقت من ضلع أعوج " فهو على حد قوله تعالى: {خُلِقَ ٱلإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ} [الأنبياء: 37] .

وقال الحافظ في شرحه من الفتح: قيل فيه إشارة إلى أن حواء خلقت من ضلع آدم الأيسر وقيل من ضلعه القصير أخرجه ابن إسحاق وزاد: اليسرى من قبل أن يدخل الجنّة وجعل مكانه لحم، ومعنى خلقت أي أخرجت كما تخرج النخلة من النواة اهـ.

فتأمل لجعل الحافظ المسألة من باب الإشارة وحكايته لها بصيغة التضعيف، وما ذكره من تفسيرها الغريب بتشبيه خلق الإنسان بخلق النبات، وظاهره أنه لم يطلع على سعة حفظه على قول لمن يعتد بأقوالهم من علماء السلف ومحققي الخلف في المسألة، ونذكر أن الله تعالى خاطب الناس في عصر التنزيل بمثل ما حكاه لهم في هذه الآية عن نشأة جنسهم في كونه تعالى خلق لهم أزواجاً من أنفسهم فقال في بيان آياته من سورة الروم:

{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً} [الروم: 21] فهذا المعنى عام لا خاص بالإنسان الأوّل.

عبر التنزيل عن ميل الزوج الجنسي إلى زوجه هنا وفي سورة الروم بالسكون وذلك أن المرء إذا بلغ سن الحياة الزوجية يجد في نفسه إضطراباً خاصّاً لا يسكن إلاّ إذا اقترن بزوج من جنسه واتحدا ذلك الإقتران والإتحاد الذي لا تكمل

حياتهما الجنسية المنتجة إلاّ به، ولذلك قال بعده {فَلَماَّ تَغَشَّاهَا { إلخ الغشاء غطاء الشيء الذي يستره من فوقه، والغاشية الظلة تظله من سحابة وغيرها{وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ} [الليل: 1] أي يحجب الأشياء ويسترها بظلامه، وتغشاها أتاها كغشيها ويزيد ما تعطيه صيغة التفعل من جهد، وهو كناية نزيهة عن أداء وظيفة الزوجية تشير إلى أن مقتضى الفطرة وأدب الشريعة فيها الستر، ولفظ النفس مؤنث فأنث في أوّل الآية، ولفظ الزوج يطلق على الذكر والأنثى ولهذا ذكّر هنا فاعل التغشي وأنث مفعوله. أي فلما تغشى الزوج الذي هو الذكر الزوج التي هي الأنثى{حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً} أي علقت منه وهو الحبل، والحمل بالفتح يطلق على المصدر وعلى المحمول والمشهور أنه خاص بما كان في بطن أو على شجرة وأن ما حمل على ظهر ونحوه يسمّى حملاً بكسر الحاء. والحمل هاهنا يحتمل المعنيين وهو يكون في أوّل العهد خفيفاً لا تكاد المرأة تشعر به، وقد تستدلّ عليه بارتفاع حيضتها {فَمَرَّتْ بِهِ} أي فمضت به إلى وقت ميلاده من غير إخداج ولا إزلاق كما قاله الزمخشري أو استمرت في أعمالها وقضاء حاجتها من غير مشقّة ولا استثقال {فَلَمَّآ أَثْقَلَتْ} أي حان وقت ثقل حملها وقرب وضعها: {دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّاكِرِينَ} أي توجها إلى الله تعالى ربّهما يدعوانّه فيما انحصر همهما فيه بعد تمام الحمل على سلامة بأن يعطيهما ولداً صالحاً أي سوياً تام الخلق يصلح للقيام بالأعمال البشرية النافعة – ولا ينبغي أن يدعو العبد غير ربّه، فيما لا يملك هو ولا غيره من العبيد أسبابه، دعواه مخلصين مقسمين له على ما وطنا عليه أنفسهما من الشكر له على هذه النعمة قائلين لئن أعطيتنا ولداً صالحاً لنكونن من القائمين لك بحق الشكر قولاً وعملاً واعتقاداً وإخلاصاً، كما يدل عليه الوصف المعرّف.

{فَلَمَّآ آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلاَ لَهُ شُرَكَآءَ فِيمَآ آتَاهُمَا} أي فلما أعطاهما ولداً صالحاً لا نقص في خلقه، ولا فساد في تركيبه، جعلا له شركاء في إعطائه أو فيما أعطاه بأن كان سبباً لوقوع الشرك منهما أو ظهور ما هو راسخ في أنفسهما منه، وسنبين معناه وقرأ نافع وأبو بكر (جعلا له شركاً) أي شركة أو ذوي شرك، فالمعنى واحد.

{فَتَعَالَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} أي تعالى شأنه عن شركهم، فإنّه هو معطي النسل بما خلقه لكل من الزوجين من أعضاء، وقدر لهما في العلوق والوضع من أسباب، لا فعل لغيره في ذلك البتة. وجمع الضمير هنا بعد تثنيته الأفعال قبله لأن المراد فيه بالزوجين الجنس لا فردين معينين: وقال الزمخشري: إن الضمير في (آتيتنا) و (لنكونن) لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما.

والآية على كلّ من القولين بيان لحال البشر فيما طرأ عليهم من نزغات الشرك الخفي والجلي في هذا الشأن وأمثاله، والجنس يصدّق ببعض أنواعه وببعض أفراده.

فمثال الشرك الخفي في أنعام الله عليهم بالنسل ما يسندونه إلى الأسباب في سلامة الحامل من الأمراض في أثناء الحمل أو في حالة الوضع، وفي سلامة الطفل عند الوضع وعقبه وفيما بعد ذلك من الموت أو التشويه أو الأمراض، كقولهم: لولا أن فعلنا كذا لكان كذا، ولولا فلان أو فلانة من طبيب أو مرشد أو قابلة لهلك الولد أو لأجهضت أمّه إجهاضاً، أو جاءت بسقط لم يستهل، أو لمات عقب إسقاطه لعدم إستعداده للحياة. وينسون في هذه الأحوال فضل الله تعالى عليهم بما منّ به من العافية والتوفيق وتسخير الأسباب من البشر وغيرهم، وإن كانوا ممن يذكرونها ولا ينكرونها إذا ذكروا بها – ذلك شأن كثير من الناس في كلّ نعمة تمسّهم، أو نقمة يدفعها الله تعالى عنهم، وهذا الشرك ليس خروجاً من الملّة، ولكنّه نقص في شكر المنعم، ويحتمل أن يكون المراد بالشرك هنا ترجيح حبّ الأولاد على حبّ الله تعالى وشغلهم

للوالدين عن ذكره وشكره، وإيثارهم لهم على طاعته والتزام ما شرعه من أحكام الحلال والحرام، وهو كسابقه نقص في التوحيد لا نقض له، وغفلة عنه لا جحد به.

ومثال الشرك الجلي إسناد هذه النعم إلى غيره تعالى ممن يدعونهم من دونه أو معه من الأولياء والقديسين، أو الأنبياء والمرسلين، أو ما يذكر بهم أو يمثلهم من القبور أو الأصنام والتماثيل، يقولون: لولا سيّدي فلان ولولا مولانا علان لما كان كذا مما نحب، أو لكان كذا وكذا مما نكره، يعتقدون أن لهم فيما كان من نفع ومنع ضرر تأثيراً غيبياً يستقلون به هو فوق تأثير الأسباب المذكورة عن القسم الأوّل كما تقدم شرحه مراراً أقربها ما في تفسير الآية السابقة.

{فَتَعَالَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} أي وارتفع مجده، وتعالى جده، تنزها عن شرك هؤلاء الأغبياء أو عن شركائهم أن يكون لهم تصرف في خلقه، أو تأثير في صفاته وأفعاله.

كنت قرأت منذ سنين جل ما قال المفسرون في تفسير هذه الآيات من كتبهم التي بين أيدينا من مأثور وغيره، وما أوردوه فيها من الأشكال، وما لهم في الجواب عنه والتفصي منه من أقوال، ولما أردت كتابة تفسيرها الآن لم أجد مما في ذهني منه شيئاً مرضياً يطمئن به قلبي، فتوجهت إلى الله تعالى وفكّرت في معناها الذي يعطيه الأسلوب العربي وينطبق على سنة الله في البشر، وفي بيان كتابه لحقائق أحوالهم، فكرت في ذلك قبل النوم وأنا في فراشي، ثمّ كتبت ما تقدم في آخر النهار، ثمّ بحثت فيما عندي من كتب التفسير لأكتب خلاصة ما قيل فيها، وأنظر فيما عساه يؤيده، وأجيب عمّا ربما يفنده، فإذا أنا بصاحب الإنتصاف يقول بعد ذكر ما نقلناه آنفاً من كلمة الزمخشري في ضميري الجمع ما نصّه: وأسلم من هذين التفسيرين أن يكون المراد جنسي الذكر والأنثى لا يقصد فيه إلى معين، وكان المعنى والله أعلم: خلقكم جنساً واحداً وجعل أزواجكم منكم أيضاً لتسكنوا إليهن، فلما تغشى الجنس الذي هو الذكر الجنس الآخر الذي هو الأنثى جرى من هذين الجنسين كيت وكيت. وإنّما نسب هذه المقالة إلى الجنس وإن كان فيهم الموحدون لأن المشركين منهم كقوله تعالى: {وَيَقُولُ ٱلإِنسَانُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيّاً} [مريم: 66] { قُتِلَ ٱلإِنسَانُ مَآ أَكْفَرَهُ} [عبس: 17] { إِنَّ ٱلإِنسَانَ لَفِى خُسْرٍ } [العصر: 2] اهـ.

وأمّا الإشكال الذي أشرنا إليه فهو ما روي عن بعض الصحابة والتابعين وفي حديث مرفوع أيضاً من أن الآية في آدم وحواء فقد أخرج أحمد والترمذي وأبو يعلى وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وغيرهم من حديث سمرة بن جندب مرفوعاً قال " :لما ولدت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحارث فإنّه يعيش، فسمته عبد الحارث فعاش فكان ذلك من وحي الشيطان " وهو على كثرة مخرجيه غريب وضعيف كما سيأتي، وقد جاءت الآثار في هذا المعنى مفصّلة ومطوّلة وفيها زيادات خرافية، تشهد عليها بأنّها من الدسائس الإسرائيلية، وهذه الآثار يعدها بعض العلماء من قبيل الأحاديث المرفوعة لأنّها لا تقال بالرأي، والذي نعتقده وجرينا عليه في التفسير أن كلّ ما هو منها مظنة للإسرائيليات المتلقاة عن مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه فهي لا يوثق بها، فإن كانت مع ذلك مشتملة على ما ينكره الدين أو العلم الصحيح قطعنا ببطلانها وكونها دسيسة إسرائيلية، ومنها ما نحن فيه لأن فيه طعناً صريحاً في آدم وحواء عليهما السلام ورمياً لهما بالشرك، ولذلك رفضها بعض المفسرين وتكلّف آخرون في تأويلها بما تنكره اللّغة. وقد اعتمد بعض المتأخرين كصاحب فتح البيان وصاحب روح المعاني الأخذ بحديث سمرة دون آثار الصحابة

والتابعين التي فيها ما ليس فيه من رمي آدم بالشرك الصريح، وظناً أنّه حجّة ووصفاه تبعاً للترمذي والحاكم بالحسن والصحيح، وما هو بحسن ولا صحيح، على أنّه لم يرد تفسيراً للآية كتلك الآثار.

وذهب بعض المفسرين إلى أن الخطاب في الآية لقريش وأن المراد فيها بالنفس الواحدة قصي جدهم، وأن المراد بجعل زوجها منها أنّها قرشية أو عربية لما روي أنّها من خزاعة لا من قريش، وأن المراد بشركهما تسمية أبناءهما الأربعة عبد مناف وعبد شمس وعبد العزى وعبد الدار – يعني دار الندوة – وفيه نظر من وجوه: ذكرها بعض المفسرين لا نضيع الوقت بذكرها. وإنّما الذي يصح أن يذكر ويبين بطلانه فهو الروايات التي انخدع بها ولا يزال ينخدع بها الكثيرون، وعمدتنا في تمحيصها وبيان عللها الحافظ ابن كثير فقد قال في تفسيره ما نصّه:

"ذكر المفسّرون هاهنا آثاراً وأحاديث سأوردها وأبين ما فيها ثمّ نتّبع ذلك ببيان الصحيح في ذلك إن شاء الله وبه الثقة. قال الإمام أحمد في مسنده :حدّثنا عبد الصمد حدّثنا عمر بن إبراهيم حدّثنا قتادة عن الحسن عن سمرة عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال " :لما ولدت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحارث فعاش وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره " وهكذا رواه ابن جرير عن محمد بن بشار عن بندار عن عبد الصمد بن عبد الوارث به، ورواه الترمذي في تفسير هذه الآية عن محمد بن المثنى عن عبد الصمد به وقال هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلاّ من حديث عمر بن إبراهيم، ورواه بعضهم عن عبد الصمد ولم يرفعه ورواه الحاكم في مستدركه من حديث عبد الصمد مرفوعاً ثمّ قال هذا حديث صحيح إسناد ولم يخرجاه ورواه الإمام أبو محمد بن أبي حاتم في تفسيره عن أبي زرعة الرازي عن هلال بن فياض عن عمر بن إبراهيم به مرفوعاً، وكذا رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره من حديث شاذ بن فياض عن عمر بن إبراهيم به مرفوعاً، وكذا رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره من حديث شاذ بن فياض عن عمر بن إبراهيم به مرفوعاً (قلت) وشاذ هو هلال وشاذ لقبه، والغرض أن هذا الحديث معلول من ثلاثة أوجه:

أحدها :أن عمر بن إبراهيم هذا هو المصري وقد وثقه ابن معين، ولكن قال أبو حاتم الرازي لا يحتج به ولكن رواه ابن مردويه من حديث المعتمر عن أبيه عن الحسن عن سمرة مرفوعاً فالله أعلم.

الثاني :أنّه قد روي من قول سمرة نفسه ليس مرفوعاً كما قال ابن جرير: حدّثنا ابن عبد الأعلى حدّثنا المعتمر عن أبيه حدّثنا بكر بن عبد الله عن سليمان التيمي عن عبد الأعلى بن الشخير عن سمرة بن جندب قال: سمّى آدم ابنه عبد الحارث.

الثالث: أن الحسن نفسه فسّر الآية بغير هذا فلو كان هذا عنده عن سمرة مرفوعاً لما عدل عنه. قال ابن جرير: حدّثنا ابن وكيع حدّثنا سهل بن يوسف عن عمرو بن الحسن (جعلا له شركاء فيما آتاهما) قال كان هذا في بعض أهل الملل ولم يكن بآدم، وحدّثنا محمد بن عبد الأعلى حدّثنا محمد بن نور عن معمر قال: قال الحسن عني بها ذرية آدم ومن أشرك منهم بعده، يعني جعلا له شركاء فيما آتاهما، وحدّثنا بشر حدّثنا يزيد حدّثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول: هم اليهود والنصارى رزقهم الله أولاداً فهودوا ونصروا. وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن (رضي الله عنه) عنه أنّه فسّر الآية بذلك وهو من أحسن التفاسير وأولى ما حملت عليه الآية، ولو كان هذا الحديث عنده محفوظاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عدل عنه هو ولا غيره لا سيّما مع تقواه لله وورعه فهذا يدلك على أنّه موقوف على الصحابي،

ويحتمل أنّه تلقاه من بعض أهل الكتاب من آمن منهم مثل كعب أو وهب بن منبه وغيرهما كما سيأتي بيانه إن شاء الله ألاّ إنّما برئنا من عهدة المرفوع والله أعلم.

"فأمّا الآثار فقال محمد بن إسحاق بن يسار عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال: كانت حواء تلد لآدم عليه السلام أولاداً فيعبّدهم لله ويسميهم عبد الله وعبيد الله ونحو ذلك فيصيبهم الموت، فأتاهما إبليس فقال : إنكما لو سميتماه بغير الذي تسميانه به لعاش، قال فولدت له رجلاً فسماه عبد الحارث ففيه أنزل الله يقول: {هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ} إلى قوله {جَعَلاَ لَهُ شُرَكَآءَ فِيمَآ آتَاهُمَا} إلى آخر الآية: وقال العوفي عن ابن عباس قوله في آدم: {هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ} إلى قوله {فمرت به} شكت أحملت أم لا؟ {فَلَمَّآ أَثْقَلَتْ دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّاكِرِينَ} فأتاهما الشيطان فقال هل تدريان ما يولد لكما أم هل تدريان ما يكون أبهيمة أم لا وزين لهما الباطل إنه غوي مبين، وقد كانت قبل ذلك ولدت ولدين فماتا فقال لهما الشيطان إنّكما إن لم تسمياه بي لم يخرج سوياً ومات كما مات الأوّل فسميا ولدهما عبد الحارث فذلك قول الله: {فَلَمَّآ آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلاَ لَهُ شُرَكَآءَ فِيمَآ آتَاهُمَا} الآية.

وقال عبد الله ابن المبارك عن شريك عن خصيف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله: {فَلَمَّآ آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلاَ لَهُ شُرَكَآءَ فِيمَآ آتَاهُمَا} قال: قال الله تعالى: {هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَماَّ تَغَشَّاهَا} آدم حملت فأتاهما إبليس لعنه الله فقال إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنّة لتطيعاني أو لأجعلن له قرني أيّل فيخرج من بطنك فيشقّه ولأفعلن ولأفعلن – يخوفهما – فسمياه عبد الحارث، فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتاً، ثمّ حملت الثانية فأتاهما أيضاً فقال: أنا صاحبكما الذي فعلت ما فعلت لتفعلن أو لأفعلن – يخوفهما – فأبيا أن يطيعا فخرج ميتاً ثمّ حملت الثالثة فأتاهما أيضاً فذكر لهما فأدركهما حب الولد فسمياه عبد الحارث فذلك قوله تعالى: {جَعَلاَ لَهُ شُرَكَآءَ فِيمَآ آتَاهُمَا} رواه ابن أبي حاتم.

"وقد تلقى هذا الأثر عن ابن عباس جماعة من أصحابه كمجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة، ومن الطبقة الثانية قتادة والسدي وغير واحد من السلف وجماعة من الخلف، ومن المفسرين المتأخرين جماعات لا يحصون كثرة، وكأنّه والله أعلم أصله مأخوذ من أهل الكتاب فإنّ ابن عباس رواه عن أبي بن كعب كما رواه ابن أبي حاتم حدّثنا أبي حدّثنا أبو الجماهير حدّثنا سعيد يعني ابن بشير عن عقبة عن قتادة عن مجاهد عن ابن عباس عن أبيّ بن كعب قال: لما حملت حواء أتاها الشيطان فقال لها أتطيعيني ويسلم لك ولدك سميه عبد الحارث فلم تفعل فولدت فمات، ثمّ حملت فقال لها مثل ذلك فلم تفعل، ثمّ حملت الثالثة فجاءها فقال: إن تطيعيني يسلم وإلاّ فإنّه يكون بهيمة. فهيبهما فأطاعا.

"وهذه الآثار يظهر عليها والله أعلم أنها من آثار أهل الكتاب وقد صحّ الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّه قال " :إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم " ثمّ أخبارهم على ثلاثة فمنها ما علمنا صحته بما دل عليه الدليل من كتاب الله أو سنة رسوله ومنها ما علمنا كذبه بما دلّ على خلافه من الكتاب والسنّة أيضاً، ومنها ما هو مسكوت عنه فهو المأذون في روايته بقوله عليه السلام " :حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج " وهو الذي لا يصدّق ولا يكذب لقوله " :فلا تصدّقوهم ولا تكذّبوهم " وهذا الأثر هو من القسم الثاني أو الثالث؟ فيه نظر، فأما من حدث به من صحابي أو تابعي فإنّه يراه من القسم الثالث، وأمّا نحن فعلى مذهب الحسن البصري رحمه الله في هذا وأنّه ليس المراد

من هذا السياق آدم وحواء، وإنّما المراد من ذلك المشركون من ذريته، ولهذا قال الله: {فَتَعَالَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} ثمّ قال فذكره آدم وحواء أولاً كالتوطئة لما بعدهما من الوالدين وهو كالإستطراد من ذكر الشخص إلى الجنس كقوله: {وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ} [الملك: 5] الآية ومعلوم أن المصابيح وهي النجوم التي زينت بها السماء ليست هي التي يرمى بها، وإنّما هذا إستطراد من شخص المصابيح إلى جنسه ولهذا نظائر في القرآن والله أعلم. اهـ سياق ابن كثير وقد أصاب كنه الحقيقة في قوله إن هذه الآثار مأخوذة من الإسرائيليات، ولما كانت طعنا في عقيدة أبوينا آدم وحواء عليهما السلام بما تبطله عقائد الإسلام، وجب الجزم ببطلانها وتكذيبهم فيها.

مجمع البيان في تفسير القرآن: الطوسي (ت 548 هـ)

القراءة: قرأ أهل المدينة وأبو بكر شِركاً بكسر الشين والتنوين على المصدر لا على الجمع وهو قراءة الأعرج وعكرمة والباقون شركاء بضم الشين والمد على الجمع وروي في الشواذ قراءة يحيى بن يعمر فمرَت به خفيفة وقرأ نافع لا يتبعوكم وفي الشعراء يتبعهم بالتخفيف والباقون يتبعوكم بالتشديد. الحجة: من قرأ شِركاً فإنه حذف المضاف وتقديره جعلا له ذا شرك أو ذوي شرك فالقراءتان على هذا يؤولان إلى معنى واحد فإن معنى جعلا له شركاء جعلا له ذوي شرك والضمير في له يعود إلى اسم الله ومن قرأ فمرت به خفيفة فإنه ينبغي أن يكون أصله التشديد كقراءة الجماعة إلا أنه حذفه تخفيفاً لثقل التضعيف قالوا مَسْتُ يده أي مسستها وقال أبو زبيد:

خَلا إنَّ العِتاقَ مِنَ المطايا أحَسْنَ بِهِ فَهُنَّ إلَيْهِ شُوسُ

أي أحسسن به. وقيل: إنه من المرية أي شكَّت أحملت أم لا وعن الحسن شكَّت أغلام أم جارية وروي أن عبد الله بن عمر قرأ فمارت به وهو من قولهم مار يمور إذا ذهب وجاء وقرأ ابن عباس فاستمرّت به ومعناه مرت له مكلفة نفسها ذلك لأن استفعل يأتي في أكثر الأمر بمعنى الطلب ومن قرأ لا يتبعوكم فإنه في المعنى مثل القراءة الأخرى قال أبو زيد: رأيت القوم فاتبعتهم اتْباعاً أي ذهبت معهم واتبعتهم اتِّباعاً إذا سبقوك فأسرعت نحوهم وتبعتهم مثل اتبعتهم في المعنى اتبعهم تبعاً. المعنى: لما تقدَّم ذكر الله تعالى ذكر عقيبه ما يدلُّ على وحدانيته فقال {هو الذي خلقكم} والخطاب لبني آدم {من نفس واحدة} يعني آدم ع { وجعل } أي وخلق {منها زوجها} يعني حواء { ليسكن} آدم {إليها} ويأنس بها {فلما تغشاها} أي فلما أصابها كما يصيب الرجل زوجته يعني وطأها وجامعها {حملت حملاً خفيفاً} وهو الماء الذي حصل في رحمها وكان خفيفاً {فمرت به} أي استمرت بالحمل على الخفة تقوم وتقعد وتجيء وتذهب كما كانت من قبل لم يمنعها ذلك الحمل عن شيء من التصرف. {فلما أثقلت} أي صارت ذات ثقل كما يقال أثمرت الشجرة صارت ذات ثمر. وقيل: معناه دخلت في الثقل كما يقال أصاف دخل في الصيف وأشتى دخل في الشتاء والمعنى لما كبر الحمل في بطنها وتحرك وصارت ثقيلة به. {دعوا الله ربهما} يعني آدم وحواء سألا الله تعالى عند كبر الولد في بطنها {لئن آتيتنا صالحاً} أي أعطيتنا ولداً صالحاً عن أبي مسلم. وقيل: نسلاً صالحاً أي معافى سليماً صحيح الخلقة عن الجبائي. وقيل: بشراً سوياً عن ابن عباس. وقيل: غلاماً ذكراً عن الحسن {لنكونن من الشاكرين} لنعمتك علينا قال الجبائي: وإنما قالا ذلك لأنهما أرادا أن يكون لهما أولاد يؤنسونهما في الموضع الذي كانا فيه لأنهما كانا فردين مستوحشين وكان إذا

غاب أحدهما عن الآخر بقي الآخر مستوحشاً بلا مؤنس ويحتمل أيضاً أن يكون أراد بقوله صالحاً مطيعاً فاعلاً للخير مصلحاً غير مفسد.

{فلما آتاهما} الله {صالحاً} كما التمساه {جعلا له شركاء فيما آتاهما} اختلف في من يرجع الضمير الذي في جعلا إليه على وجوه: أحدها: أنه يرجع إلى النسل الصالح أي المعافى في الخلق والبدن لا في الدين وإنما ثَنّى لأن حواء كانت تلد في كل بطن ذكراً وأنثى يعني أن هذا النسل الذين هم ذكر وأنثى جعلا له شركاء فيما أعطاهما من النعمة فأضافا تلك النعم إلى الذين اتخذوهم آلهة مع الله تعالى من الأصنام والأوثان عن الجبائي. وثانيها: أنه يرجع إلى النفس وزوجها من ولد آدم لا إلى آدم وحواء عن الحسن وقتادة وهو قول الأصم قال ويكون المعنى في قوله {خلقكم من نفس واحدة} [الأعراف: 189] خلق كل واحد منكم من نفس واحدة ولكل نفس زوج هو منها أي من جنسها كما قال سبحانه }ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها} [الروم: 21] فلما تغشى كل نفس زوجها {حملت حملاً خفيفاً} وهو ماء الفحل {فلما أثقلت} بمصير ذلك الماء لحماً ودماً وعظماً دعا الرجل والمرأة {ربهما لئن آتيتنا صالحاً} أي ذكراً سوياً {لنكونن من الشاكرين} وكانت عادتهم أن يئدوا البنات. فلما آتاهما يعني الأب والأم {صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما} لأنهم كانوا يسمون عبد العزى وعبد اللات وعبد منات ثم رجعت الكناية إلى جميعهم في قوله {فتعالى الله عما يشركون} فالكناية في جميع ذلك غير متعلقة بآدم وحواء ولو كانت متعلقة بهما لقال عما يشركان وقال أبو مسلم: تقدير الآية هو الذي خلقكم والخطاب لجميع الخلق من نفس واحدة يعني آدم وجعل من ذلك النفس زوجها وهي حواء ثم انقضى حديث آدم وحواء وخصَّ بالذكر المشركين من أولاد آدم الذين سألوا ما سألوا وجعلوا له شركاء فيما آتاهم قال ويجوز أن يذكر العموم ثم يخصُّ البعض بالذكر ومثله كثير في الكلام قال الله تعالى }هو الذي يسيركم في البر والبحر} [يونس: 22]{ حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة} [يوسف: 22] فخاطب الجماعة بالتسيير ثم خصَّ راكب البحر بالذكر وكذلك هذه الآية أخبرت عن جملة البشر بأنهم مخلوقون من آدم وحواء. ثم عاد الذكر إلى الذي سأل الله تعالى ما سأل فلما أعطاه إياه ادَّعى له شركاء في عطيته قال وجائز أن يكون عنى بقوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة المشركين خصوصاً إذا كان كل واحد من بني آدم مخلوقاً من نفس واحدة وزوجها وذكر قريباً من قول الأصم قال وقد يجيء مثله في التنزيل وغيره قال سبحانه {والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم} [النور: 4] والمعنى فاجلدوا كل واحد منهم.. وثالثها: أن الضمير يرجع إلى آدم وحواء عليهما السلام ويكون التقدير في قوله { جعلا له شركاء } جعل أولادهما له شركاء فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فصار جعلا وهذا مثل قوله سبحانه {اتخذتم العجل} [البقرة: 51] وإذ قتلتم نفساً } [البقرة: 72] والتقدير وإذ قتل أسلافكم نفساً واتَّخذ أسلافكم العجل فحذف المضاف وعلى هذا الوجه تكون الكناية من أول الكلام إلى آخره راجعة إلى آدم وحواء ويقوّيه قوله سبحانه {فتعالى الله عما يشركون}ورابعها: ما روت العامة أنه يرجع إلى آدم وحواء وأنهما جعلا لله شريكاً في التسمية وذلك أنهما أقاما زماناً لا يولد لهما فمرَّ بهما إبليس ولم يعرفاه فشكوا إليه فقال لهما إن أصلحتُ حالكما حتى يولد لكما ولد أتسمّيانه باسمي قالا نعم وما اسمك قال الحرث: فولد لهم فسمياه عبد الحرث ذكره ابن فضال. وقيل: إن حواء حملت أول ما حملت فأتاها إبليس في غير صورته فقال لها يا حواء يا حواء ما يؤمنك أن تكون في بطنك بهيمة فقالت لآدم لقد أتاني آت فأخبرني أن الذي في بطني بهيمة وإني لأجد له ثقلاً فلم يزالا في همٍّ من ذلك ثم أتاها فقال إن

سألتُ الله أن يجعله خلقاً سوياً مثلك ويسهّل عليك خروجه أتسميه عبد الحرث ولم يزل بها حتى غرَّها فسمته عبد الحرث برضاء آدم وكان اسم إبليس عند الملائكة الحارث. وهذا الوجه بعيد تأباه العقول وتنكره فإن البراهين الساطعة التي لا يصحّ فيها الاحتمال ولا يتطرق إليها المجاز والاتساع قد دلَّت على عصمة الأنبياء عليهم السلام فلا يجوز عليهم الشرك والمعاصي وطاعة الشيطان فلو لم نعلم تأويل الآية لعلمنا على الجملة أن لها وجهاً يطابق دلالة العقل فكيف وقد ذكرنا الوجوه الصحيحة الواضحة في ذلك على أن الرواية الواردة في ذلك قد طعن العلماء في سندها بما هو مذكور في مواضعه ولا نحتاج إلى إثباته فإن الآية تقتضي أنهم أشركوا الأصنام التي تخلق ولا تخلق لقوله. {أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون} وفي خبرهم أنهما أشركا إبليس اللعين فيما ولد لهما بأن سمّوه عبد الحرث وليس في ظاهر الآية لإبليس ذكر وحكى البلخي عن جماعة من العلماء أنهم قالوا لو صحَّ الخبر لم يكن في ذلك إلا إشراكاً في التسمية وليس ذلك بكفر ولا معصية واختاره الطبري وروى العياشي في تفسيره عنهم ع أنه كان شركهما شرك طاعة ولم يكن شرك عبادة .وقوله {أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون} توبيخ وتعنيف للمشركين بأنهم يعبدون مع الله تعالى جماداً لا يخلق شيئاً من الأجسام ولا ما يستحقُّ به العبادة وهم مع ذلك مخلوقون محدثون ولهم خالق خلقهم وإن خرج الكلام مخرج الاستفهام ولفظة ما إنما تستعمل فيما لا يعقل فدلَّ ذلك على أن المراد بقوله جعلا له شركاء أنهم أشركوا الأصنام مع الله تعالى لا ما ذكروه من إشراك إبليس وإنما قال وهم يخلقون على لفظ العقلاء وإن كانت الأصنام جماداً لأنه أراد به الأصنام والعابدين لها جميعاً فغلب ما يعقل على ما لا يعقل ويجوز أن يكون على أنهم يعظمُونها تعظيم من يعقل ويصوّرونها على صورة من يعقل فكنّى عنهم كما يكنّى عن العقلاء كقوله

المعالجة:

- استخرج وجه الإشكال في الآية.
- حدّد الآراء المختلفة في تفسير الإشكال أو الإشكالات الموجودة حسب كلّ مفسّر.
- قدّر بالأدلّة مَن مِن المفسّرين الذي حقّق نموّا معرفيّا أكبر من غيره.
- سجّل ملاحظاتك الخاصّة.
- اكتب التفسير الأمثل للإشكال الموجود في الآية.

4. الآية الرابعة: ﴿وَٱقصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَاتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾ [لقمان ١٩]

تفسير جامع البيان في تفسير القرآن: الطبري (310 هـ)

القول في تأويل قوله تعالى :﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُsضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (١٩)﴾ يقول: وتواضع في مشيك إذا مشيت، ولا تستكبر، ولا تستعجل، ولكن اتئد.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، غير أن منهم من قال: أمره بالتواضع في مشيه، ومنهم من قال: أمره بترك السرعة فيه.

ذكر من قال: أمره بالتواضع في مشيه:

- حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا أبو حمزة، عن جابر، عن مجاهد ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ قال: التواضع.
- حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ قال: نهاه عن الخيلاء.

ذكر من قال نهاه عن السرعة.

- حدثنا ابن حميد، قال: ثنا ابن المبارك، عن عبد الله بن عقبة، عن يزيد بن أبي حبيب، في قوله :﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ قال: من السرعة* * * .

قوله :﴿وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾

يقول: واخفض من صوتك، فاجعله قصدا إذا تكلمت.

كما-:

- حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة ﴿وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ قال: أمره بالاقتصاد في صوته.

- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله :﴿وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ قال: اخفض من صوتك.

واختلف أهل التأويل قوله :﴿إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ فقال بعضهم: معناه: إن أقبح الأصوات * .

ذكر من قال ذلك:

- حدثنا ابن بشار وابن المثنى، قالا ثنا ابن أبي عديّ، عن شعبة وأبان بن تغلب، قالا ثنا أبو معاوية عن جُوَيبر، عن الضحاك ﴿إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ﴾ قال: إن أقبح الأصوات ﴿لَصَوْتُ الحَمِيرِ﴾ .
- حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة ﴿إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الحَمِيرِ﴾ أي: أقبح الأصوات لصوت الحمير، أوّله زفير، وآخره شهيق، أمره بالاقتصاد في صوته.
- حدثنا ابن بشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، قال: سمعت الأعمش يقول :﴿إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ﴾)١ (صوت الحمير.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: إن أشرّ الأصوات * .ذكر من قال ذلك:

- حُدثت عن يحيى بن واضح، عن أبي حمزة، عن جابر عن عكرِمة والحكم بن عُتيبة ﴿إِنَّ أنكَرَ الأَصْوَاتِ﴾ قال: أشرّ الأصوات.

قال جابر: وقال الحسن بن مسلم: أشدّ الأصوات.

- حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله :﴿إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ قال: لو كان رفع الصوت هو خيرا ما جعله للحمير.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: إن أقبح أو أشرّ الأصوات، وذلك نظير قولهم: إذا رأوا وجها قبيحا، أو منظرا شنيعا، ما أنكر وجه فلان، وما أنكر منظره.

وأما قوله :﴿لَصَوْتُ الحَمِيرِ﴾ فأضيف الصوت، وهو واحد، إلى الحمير وهي جماعة، فإن ذلك لوجهين: إن شئت، قلت: الصوت بمعنى الجمع، كما قيل :﴿لَذَهَبَ بِسَمْعهِمْ﴾ وإن شئت قلت: معنى الحمير: معنى الواحد، لأن الواحد في مثل هذا الموضع يؤدّي عما يؤدي عنه الجمع .

)١ (لعل فيه سقطًا، والأصل: أي أقبح الأصوات صوت ... إلخ.

فتح القدير — الشوكاني (1250 هـ)

﴿واقْصِدْ في مَشْيِكَ﴾ أيْ: تَوَسَّطْ فِيهِ، والقَصْدُ ما بَيْنَ الإسْراعِ والبُطْءِ، يُقالُ: قَصَدَ فُلانٌ في مِشْيَتِهِ: إذا مَشى مُسْتَوِيًا لا يَدِبُّ دَبِيبَ المُتَماوِتِينَ ولا يَثِبُ وُثُوبَ الشَّياطِينِ.

وقَدْ ثَبَتَ أنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ» - كانَ إذا مَشى أسْرَعَ«، فَلا بُدَّ أنْ يُحْمَلَ القَصْدُ هُنا عَلى ما جاوَزَ الحَدَّ في السُّرْعَةِ. وقالَ مُقاتِلٌ: مَعْناهُ لا تَخْتَلَّ في مِشْيَتِكَ. وقالَ عَطاءٌ: امْشِ بِالوَقارِ والسَّكِينَةِ. كَقَوْلِهِ :﴿يَمْشُونَ عَلى الأرْضِ هَوْنًا﴾]الفرقان: ٦٣. [

﴿واغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ أيِ: انْقُصْ مِنهُ واخْفِضْهُ ولا تَتَكَلَّفْ رَفْعَهُ، فَإنَّ الجَهْرَ بِأكْثَرَ مِنَ الحاجَةِ يُؤْذِي السّامِعَ، وجُمْلَةُ ﴿إنَّ أنْكَرَ الأصْواتِ لَصَوْتُ الحَمِيرِ﴾ تَعْلِيلٌ لِلْأمْرِ بِالغَضِّ مِنَ الصَّوْتِ أيْ: أوْحَشُها وأقْبَحُها .قالَ قَتادَةُ: أقْبَحُ الأصْواتِ صَوْتُ الحَمِيرِ أوَّلُهُ زَفِيرٌ وآخِرُهُ شَهِيقٌ. قالَ المُبَرِّدُ: تَأْوِيلُهُ إنَّ الجَهْرَ بِالصَّوْتِ لَيْسَ بِمَحْمُودٍ وإنَّهُ داخِلٌ في بابِ الصَّوْتِ المُنْكَرِ، واللّامُ في ﴿لَصَوْتُ﴾ لِلتَّأْكِيدِ، ووَحَّدَ الصَّوْتَ مَعَ كَوْنِهِ مُضافًا إلى الجَمْعِ؛ لِأنَّهُ مَصْدَرٌ، وهو يَدُلُّ عَلى الكَثْرَةِ، وهو مَصْدَرُ صاتَ يَصُوتُ صَوْتًا فَهو صائِتٌ.

روح المعاني — الآلوسي (1270 هـ)

﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾]لقمان ١٩[

﴿واقْصِدْ في مَشْيِكَ﴾ بَعْدَ الِاجْتِنابِ عَنِ المَرَحِ فِيهِ، أيْ تَوَسَّطْ فِيهِ بَيْنَ الدَّبِيبِ والإسْراعِ مِنَ القَصْدِ، وهو الِاعْتِدالُ، وجاءَ في عِدَّةِ رِواياتٍ إلّا أنَّ في أكْثَرِها مَقالًا يُخْرِجُها عَنْ صَلاحِيَّةِ الِاحْتِجاجِ بِها، كَما لا يَخْفى عَلى مَن راجَعَ شَرْحَ الجامِعِ الصَّغِيرِ لِلْمُناوِيِّ عَنِ النَّبِيِّ صَلّى اللَّهُ تَعالى عَلَيْهِ وسَلَّمَ»» :سُرْعَةُ المَشْيِ تُذْهِبُ بَهاءَ المُؤْمِنِ«« :

أيْ هَيْبَتَهُ وجَمالَهُ، أيْ تُورِثُهُ حَقارَةً في أعْيُنِ النّاسِ، وكَأنَّ ذَلِكَ لِأنَّها تَدُلُّ عَلى الخِفَّةِ، وهَذا أقْرَبُ مِن قَوْلِالمناوِيِّ لِأنَّها تُتْعِبُ فَتُغَيِّرُ البَدَنَ والهَيْئَةَ.

وقالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: كانُوا يَنْهَوْنَ عَنْ خَبَبِ اليَهُودِ ودَبِيبِ النَّصارى، ولَكِنْ مَشْيًا بَيْنَ ذَلِكَ، وما في النِّهايَةِ مِن أنَّ عائِشَةَ نَظَرَتْ إلى رَجُلٍ كادَ يَمُوتُ تَخافُتًا، فَقالَتْ: ما لِهَذا؟ فَقِيلَ: إنَّهُ مِنَ القُرّاءِ، فَقالَتْ: كانَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ تَعالى عَنْهُ سَيِّدَ القُرّاءِ، وكانَ إذا مَشى أسْرَعَ، وإذا قالَ أسْمَعَ، وإذا ضَرَبَ أوْجَعَ. فالمُرادُ بِالإسْراعِ فِيهِ ما فَوْقَ دَبِيبِ المُتَماوِتِ، وهو الَّذِي يُخْفِي صَوْتَهُ، ويُقِلُّ حَرَكاتِهِ مِمّا يَتَزَيّا بِزِيِّ العُبّادِ، كَأنَّهُ يَتَكَلَّفُ في اتِّصافِهِ بِما يُقَرِّبُهُ مِن صِفاتِ الأمْواتِ لِيُوهِمَ أنَّهُ ضَعُفَ مِن كَثْرَةِ العِبادَةِ، فَلا يُنافِي الآيَةَ، وكَذا ما ورَدَ في صِفَتِهِ صَلّى اللَّهُ تَعالى عَلَيْهِ وسَلَّمَ إذْ يَمْشِي كَأنَّما يَنْحَطُّ مِن صَبَبٍ، وكَذا لا يُنافِيها قَوْلُهُ تَعالى :﴿وعِبادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلى الأرْضِ هَوْنًا﴾]الفُرْقانُ: 63[، إذْ لَيْسَ الهَوْنُ فِيهِ المَشْيُ كَدَبِيبِ النَّمْلِ، وذَكَرَ بَعْضُ الأفاضِلِ أنَّ المَذْمُومَ اعْتِيادُ الإسْراعِ بِالإفْراطِ فِيهِ، وقالَ السَّخاوِيُّ: مَحَلُّ ذَمِّ الإسْراعِ ما لَمْ يَخْشَ مِن بُطْءِ السَّيْرِ تَفْوِيتُ أمْرٍ دِينِيٍّ، لَكِنْ أنْتَ تَعْلَمُ أنَّ الإسْراعَ المَذْهِبَ لِلْخُشُوعِ لِإدْراكِ الرَّكْعَةِ مَعَ الإمامِ مَثَلًا مِمّا قالُوا: إنَّهُ مِمّا لا يَنْبَغِي، فَلا تَغْفُلْ، وعَنْ مُجاهِدٍ أنَّ القَصْدَ في المَشْيِ التَّواضُعُ فِيهِ، وقِيلَ: جُعِلَ البَصَرُ مَوْضِعَ القَدَمِ، والمُعَوَّلُ عَلَيْهِ ما تَقَدَّمَ: وقُرِئَ» .وأقْصِدْ «بِقَطْعِ الهَمْزَةِ ونَسَبَها ابْنُ خالَوَيْهِ لِلْحِجازِيِّ مِن أقْصَدَ الرّامِي إذا سَدَّدَ سَهْمَهُ نَحْوَ الرَّمِيَّةِ، ووَجَّهَهُ إلَيْها لِيُصِيبَها، أيْ سَدِّدْ في مَشْيِكَ، والمُرادُ امْشِ مَشْيًا حَسَنًا، وكَأنَّهُ أُرِيدَ التَّوَسُّطُ بِهِ بَيْنَ المَشْيَيْنِ السَّرِيعِ والبَطِيءِ فَتَتَوافَقُ القِراءَتانِ، ﴿واغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ أيِ انْقُصْ مِنهُ، واقْصُرْ مِن قَوْلِكَ: فُلانٌ يَغُضُّ مِن فُلانٍ، إذا قَصَرَ بِهِ، وضَعَ مِنهُ، وحَطَّ مِن دَرَجَتِهِ. وفِي البَحْرِ: الغَضُّ رَدُّ طُمُوحِ الشَّيْءِ كالصَّوْتِ، والنَّظَرِ، ويُسْتَعْمَلُ مُتَعَدِّيًا بِنَفْسِهِ كَما في قَوْلِهِ :

فَغُضَّ الطَّرْفَ إنَّكَ مِن نُمَيْرٍ

ومُتَعَدِّيًا بِمِن كَما هو ظاهِرُ قَوْلِ الجَوْهَرِيِّ: غَضَّ مِن صَوْتِهِ. والظّاهِرُ إنَّ ما في الآيَةِ مِنَ الثّانِي، وتَكَلَّفَ بَعْضُهم جَعْلَ مِن فِيها لِلتَّبْعِيضِ، وادَّعى آخَرُ كَوْنَها زائِدَةً في الإثْباتِ، وكانَتِ العَرَبُ تَفْتَخِرُ بِجَهارَةِ الصَّوْتِ، وتَمْدَحُ بِهِ في الجاهِلِيَّةِ، ومِنهُ قَوْلُ الشّاعِرِ :

جَهِيرُ الكَلامِ جَهِيرُ العُطاسِ □□□ جَهِيرُ الرَّواءِ جَهِيرُ النِّعَمْ

ويَخْطُو عَلى العَمِّ خَطْوَ الظَّلِيمِ □□□ ويَعْلُو الرِّجالَ بِخَلْقٍ عَمَمْ

والحِكْمَةُ في غَضِّ الصَّوْتِ المَأْمُورِ بِهِ أنَّهُ أوْقَرُ لِلْمُتَكَلِّمِ، وأبْسَطُ لِنَفْسِ السّامِعِ وفَهْمِهِ، ﴿إنَّ أنْكَرَ الأصْواتِ﴾ أيْ أقْبَحَها، يُقالُ: وجْهٌ مُنْكَرٌ أيْ قَبِيحٌ قالَ في البَحْرِ: وهو أفْعَلُ بُنِيَ مِن فِعْلِ المَفْعُولِ كَقَوْلِهِمْ: أشْغَلُ مِن ذاتِ النِّحْيَيْنِ، وبِناؤُهُ مِن ذَلِكَ شاذٌّ، وقالَ بَعْضٌ: أيْ أصْعَبَها عَلى السَّمْعِ وأوْحَشَها مِن نَكُرَ بِالضَّمِّ نَكارَةً، ومِنهُ ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدّاعِ إلى شَيْءٍ نُكُرٍ﴾]القَمَرُ: 6[، أيْ أمْرٍ صَعْبٍ لا يُعْرَفُ، والمُرادُ بِالأصْواتِ أصْواتُ الحَيَواناتِ، أيْ إنَّ أنْكَرَ أصْواتِ الحَيَواناتِ ﴿لَصَوْتُ الحَمِيرِ﴾ جَمْعُ حِمارٍ كَما صَرَّحَ بِهِ أهْلُ اللُّغَةِ، ولَمْ يُخالِفْ فِيهِ غَيْرُ السُّهَيْلِيِّ قالَ: إنَّهُ فَعِيلٌ اسْمُ جَمْعٍ، كالعَبِيدِ، وقَدْ يُطْلَقُ عَلى اسْمِ الجَمْعِ الجَمْعُ عِنْدَ اللُّغَوِيِّينَ، والجُمْلَةُ تَعْلِيلٌ لِلْأمْرِ بِالغَضِّ عَلى أبْلَغِ وجْهٍ وآكَدِهِ حَيْثُ شُبِّهَ الرّافِعُونَ أصْواتَهم بِالحَمِيرِ، وهم مَثَلٌ في الذَّمِّ البَلِيغِ والشَّتِيمَةِ، ومُثِّلَتْ أصْواتُهم بِالنُّهاقِ الَّذِي أوَّلُهُ زَفِيرٌ وآخِرُهُ شَهِيقٌ، ثُمَّ أُحْلِيَ الكَلامُ مِن لَفْظِ التَّشْبِيهِ، وأُخْرِجَ مَخْرَجَ الِاسْتِعارَةِ، وفِي ذَلِكَ مِنَ المُبالَغَةِ في الذَّمِّ والتَّهْجِينِ والإفْراطِ في التَّثْبِيطِ عَنْ رَفْعِ الصَّوْتِ والتَّرْغِيبِ عَنْهُ ما فِيهِ، وإفْرادُ الصَّوْتِ مَعَ جَمْعِ ما أُضِيفَ هو إلَيْهِ لِلْإشارَةِ إلى قُوَّةِ تَشابُهِ أصْواتِ الحَمِيرِ حَتّى كَأنَّها

صَوْتٌ واحِدٌ، هو أنْكَرُ الأصْواتِ، وقالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: إنَّ ذَلِكَ لِما أنَّ المُرادَ لَيْسَ بَيانَ حالِ صَوْتِ كُلِّ واحِدٍ مِن آحادِ هَذا الجِنْسِ حَتّى يُجْمَعَ، بَلْ بَيانَ صَوْتِ هَذا الجِنْسِ مِن بَيْنِ أصْواتِ سائِرِ الأجْناسِ. قِيلَ: فَعَلى هَذا كانَ المُناسِبُ لِصَوْتِ الحِمارِ بِتَوْحِيدِ المُضافِ إلَيْهِ، وأُجِيبَ بِأنَّ المَقْصُودَ مِنَ الجَمْعِ التَّنْمِيمُ والمُبالَغَةُ في التَّنْفِيرِ، فَإنَّ الصَّوْتَ إذا تَوافَقَتْ عَلَيْهِ الحَمِيرُ كانَ أنْكَرَ. وأُورِدَ عَلَيْهِ أنَّهُ يُوهِمُ أنَّ الأنْكَرِيَّةَ في التَّوافُقِ دُونَ الِانْفِرادِ، وهو لا يُناسِبُ المَقامَ، وأُجِيبَ بِأنَّهُ لا يُلْتَفَتُ إلى مِثْلِ هَذا التَّوَهُّمِ، وقِيلَ: لَمْ يُجْمَعِ الصَّوْتُ المُضافُ لِأنَّهُ مَصْدَرٌ، وهو لا يُثَنّى، ولا يُجْمَعُ ما لَمْ تُقْصَدِ الأنْواعُ كَما في ﴿أنْكَرَ الأصْواتِ﴾ فَتَأمَّلْ، والظّاهِرُ أنَّ قَوْلَهُ تَعالى :﴿إنَّ أنْكَرَ الأصْواتِ لَصَوْتُ الحَمِيرِ﴾ مِن كَلامِ لُقْمانَ لِابْنِهِ تَنْفِيرًا لَهُ عَنْ رَفْعِ الصَّوْتِ، وقِيلَ: هو مِن كَلامِ اللَّهِ تَعالى وانْتَهَتْ وصِيَّةُ لُقْمانَ بِقَوْلِهِ: ﴿واغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ رَدَّ سُبْحانَهُ بِهِ عَلى المُشْرِكِينَ الَّذِينَ كانُوا يَتَفاخَرُونَ بِجَهارَةِ الصَّوْتِ، ورَفْعِهِ مَعَ أنَّ ذَلِكَ يُؤْذِي السّامِعَ، ويَقْرَعُ الصِّماخَ بِقُوَّةٍ، ورُبَّما يَخْرُقُ الغِشاءَ الَّذِي هو داخِلَ الأُذُنِ، وبَيَّنَ عَزَّ وجَلَّ أنَّ مَثَلَهم في رَفْعِ أصْواتِهِمْ مَثَلُ الحَمِيرِ، وأنَّ مَثَلَ أصْواتِهِمُ الَّتِي يَرْفَعُونَها مَثَلُ نُهاقِها في الشِّدَّةِ مَعَ القُبْحِ المُوحِشِ، وهَذا الَّذِي يَلِيقُ أنْ يُجْعَلَ وجْهَ شَبَهٍ، لا الخُلُوُّ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعالى كَما يُتَوَهَّمُ بِناءً عَلى ما أخْرَجَ ابْنُ أبِي حاتِمٍ، عَنْ سُفْيانَ الثَّوْرِيِّ، قالَ: صِياحُ كُلِّ شَيْءٍ تَسْبِيحُهُ إلّا الحِمارَ لِما أنَّ وجْهَ الشَّبَهِ يَنْبَغِي أنْ يَكُونَ صِفَةً ظاهِرَةً، وخُلُوُّ صَوْتِ الحِمارِ عَنِ الذِّكْرِ لَيْسَ كَذَلِكَ، عَلى أنّا لا نُسَلِّمُ صِحَّةَ هَذا الخَبَرِ، فَإنَّ فِيهِ ما فِيهِ. ومِثْلُهُ ما شاعَ بَيْنَ الجَهَلَةِ مِن أنَّ نَهِيقَ الحِمارِ لَعْنٌ لِلشِّيعَةِ الَّذِينَ لا يَزالُونَ يَنْهَقُونَ بِسَبِّ الصَّحابَةِ رَضِيَ اللَّهُ تَعالى عَنْهُمْ، ومِثْلُ هَذا مِنَ الخُرافاتِ الَّتِي يَمُجُّها السَّمْعُ ما عَدا سَمْعَ طَوِيلِ الأُذُنَيْنِ، والظّاهِرُ أنَّ المُرادَ بِالغَضِّ مِنَ الصَّوْتِ الغَضُّ مِنهُ عِنْدَ التَّكَلُّمِ والمُحاوَرَةِ، وقِيلَ: الغَضُّ مِنَ الصَّوْتِ مُطْلَقًا فَيَشْمَلُ الغَضَّ مِنهُ عِنْدَ العُطاسِ، فَلا يَنْبَغِي أنْ يَرْفَعَ صَوْتَهُ عِنْدَهُ إنْ أمْكَنَهُ عَدَمُ الرَّفْعِ، ورُوِيَ عَنْ أبِي عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ تَعالى عَنْهُ ما يَقْتَضِيهِ، ثُمَّ إنَّ الغَضَّ مَمْدُوحٌ إنْ لَمْ يَدْعُ داعٍ شَرْعِيٌّ إلى خِلافِهِ، وأرْدَفَ الأمْرَ بِالقَصْدِ في المَشْيِ بِالأمْرِ بِالغَضِّ مِنَ الصَّوْتِ لِما أنَّهُ كَثِيرًا ما يُتَوَصَّلُ إلى المَطْلُوبِ بِالصَّوْتِ بَعْدَ العَجْزِ عَنِ التَّوَصُّلِ إلَيْهِ بِالمَشْيِ كَذا قِيلَ، هَذا وأبْعَدَ بَعْضُهم في الكَلامِ عَلى هَذَيْنِ الأمْرَيْنِ فَقالَ: إنَّ الأوَّلَ إشارَةٌ إلى التَّوَسُّطِ في الأفْعالِ، والثّانِيَ إشارَةٌ إلى الِاحْتِرازِ مِن فُضُولِ الكَلامِ، والتَّوَسُّطِ في الأقْوالِ، وجُعِلَ قَوْلُهُ تَعالى :﴿إنْ تَكُ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِن خَرْدَلٍ﴾ إلَخْ، إشارَةً إلى إصْلاحِ الضَّمِيرِ، وهو كَما تَرى.

وقَرَأ ابْنُ أبِي عَبْلَةَ »أصْواتُ الحَمِيرِ «بِالجَمْعِ بِغَيْرِ لامِ التَّأْكِيدِ.

تفسير مفاتيح الغيب: الرازي (606 هـ)

﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾]لقمان ١٩[

لَمّا قالَ :﴿ولا تَمْشِ في الأرْضِ مَرَحًا﴾ وعَدَمُ ذَلِكَ قَدْ يَكُونُ بِضِدِّهِ وهو الَّذِي يُخالِفُ غايَةَ الِاخْتِلافِ، وهو مَشْيُ المُتَماوِتِ الَّذِي يَرى مِن نَفْسِهِ الضَّعْفَ تَزَهُّدًا، فَقالَ :﴿واقْصِدْ في مَشْيِكَ﴾ أيْ كُنْ وسَطًا بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ المَذْمُومَيْنِ، وفي الآيَةِ مَسائِلُ:

المَسْألَةُ الأُولى: هَلْ لِلْأمْرِ بِالغَضِّ مِنَ الصَّوْتِ مُناسَبَةٌ مَعَ الأمْرِ بِالقَصْدِ في المَشْيِ ؟ فَنَقُولُ: نَعَمْ. سَواءٌ عَلِمْناها نَحْنُ أوْ لَمْ نَعْلَمْها، وفي كَلامِ اللَّهِ مِنَ الفَوائِدِ ما لا يَحْصُرُهُ حَدٌّ ولا يُصِيبُهُ عَدٌّ، ولا يَعْلَمُهُ أحَدٌ، والَّذِي يَظْهَرُ وُجُوهٌ: الأوَّلُ: هو أنَّ الإنْسانَ لَمّا كانَ شَرِيفًا تَكُونُ مَطالِبُهُ شَرِيفَةً، فَيَكُونُ فَواتُها خَطَرًا، فَأقْدَرَ اللَّهُ الإنْسانَ عَلى تَحْصِيلِها

بِالمشْيِ، فَإنْ عَجزَ عَنْ إدْراكِ مَقْصُودِهِ، يُنادِي مَطْلُوبَهُ فَيَقِفُ لَهُ أوْ يَأْتِيهُ مَشْيًا إلَيْهِ، فَإنْ عَجزَ عَنْ إبْلاغِ كَلامِهِ إلَيْهِ، وبَعْضُ الحَيَواناتِ يُشارِكُ الإنْسانَ في تَحْصِيلِ المطْلُوبِ بِالصَّوْتِ، كَما أنَّ الغَنَمَ تَطْلُبُ السَّخْلَةَ، والبَقَرَةَ العِجْلَ، والنّاقَةَ الفَصِيلَ بِالثُّغاءِ والخُوارِ والرُّغاءِ، ولَكِنْ لا تَتَعَدّى إلى غَيْرِها، والإنْسانُ يُمَيِّزُ البَعْضَ عَنِ البَعْضِ، فَإذا كانَ المشْيُ والصَّوْتُ مُفْضِيَيْنِ إلى مَقْصُودٍ واحِدٍ لَمّا أرْشَدَهُ إلى أحَدِهِما أرْشَدَهُ إلى الآخَرِ.

الثّانِي: هو أنَّ الإنْسانَ لَهُ ثَلاثَةُ أشْياءَ؛ عَمَلٌ بِالجَوارِحِ يُشارِكُهُ فِيهِ الحَيَواناتُ، فَإنَّهُ حَرَكَةٌ وسُكُونٌ، وقَوْلٌ بِاللِّسانِ ولا يُشارِكُهُ فِيهِ غَيْرُهُ، وعَزْمٌ بِالقَلْبِ وهو لا اطِّلاعَ عَلَيْهِ إلّا لِلَّهِ، وقَدْ أشارَ إلَيْهِ بِقَوْلِهِ :﴿إنَّها إنْ تَكُ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِن خَرْدَلٍ﴾ أيْ أصْلِحْ ضَمِيرَكَ فَإنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ، بَقِيَ الأمْرانِ، فَقالَ :﴿واقْصِدْ في مَشْيِكَ واغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ إشارَةً إلى التَّوَسُّطِ في الأفْعالِ والأقْوالِ.

الثّالِثُ: هو أنَّ لُقْمانَ أرادَ إرْشادَ ابْنِهِ إلى السَّدادِ في الأوْصافِ الإنْسانِيَّةِ، والأوْصافِ الَّتِي هي لِلْمَلَكِ الَّذِي هو أعْلى مَرْتَبَةً مِنهُ، والأوْصافِ الَّتِي لِلْحَيَوانِ الَّذِي هو أدْنى مَرْتَبَةً مِنهُ، فَقَوْلُهُ :﴿وأْمُرْ بِالمعْرُوفِ وانْهَ عَنِ المنْكَرِ﴾ إشارَةٌ إلى المكارِمِ المخْتَصَّةِ بِالإنْسانِ، فَإنَّ المَلَكَ لا يَأْمُرُ مَلَكًا آخَرَ بِشَيْءٍ ولا يَنْهاهُ عَنْ شَيْءٍ.

وقَوْلُهُ :﴿ولا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنّاسِ ولا تَمْشِ في الأرْضِ مَرَحًا﴾ الَّذِي هو إشارَةٌ إلى عَدَمِ التَّكَبُّرِ والتَّبَخْتُرِ إشارَةٌ إلى المكارِمِ الَّتِي هي صِفَةُ المَلائِكَةِ، فَإنَّ عَدَمَ التَّكَبُّرِ والتَّبَخْتُرِ صِفَتُهم. وقَوْلُهُ :﴿واقْصِدْ في مَشْيِكَ واغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ إشارَةٌ إلى المكارِمِ الَّتِي هي صِفَةُ الحَيَوانِ. ثُمَّ قالَ تَعالى :﴿إنَّ أنْكَرَ الأصْواتِ لَصَوْتُ الحَمِيرِ﴾ وفِيهِ مَسائِلُ:

المسْألَةُ الأُولى: لِمَ ذَكَرَ المانِعَ مَن رَفْعِ الصَّوْتِ ولَمْ يُذْكَرِ المانِعَ مِن سُرْعَةِ المشْيِ، نَقُولُ: أمّا عَلى قَوْلِنا: إنَّ المشْيَ والصَّوْتَ كِلاهُما مُوَصِّلانِ إلى شَخْصٍ مَطْلُوبٍ إنْ أدْرَكَهُ بِالمشْيِ إلَيْهِ فَذاكَ، وإلّا فَيُوقِفُهُ بِالنِّداءِ، فَنَقُولُ: رَفْعُ الصَّوْتِ يُؤْذِي السّامِعَ ويَقْرَعُ الصِّماخَ بِقُوَّةٍ، ورُبَّما يَخْرُقُ الغِشاءَ الَّذِي داخِلَ الأُذُنِ. وأمّا السُّرْعَةُ في المشْيِ فَلا تُؤْذِي أوْ إنْ كانَتْ تُؤْذِي فَلا تُؤْذِي غَيْرَ مَن في طَرِيقِهِ، والصَّوْتُ يَبْلُغُ مَن عَلى اليَمِينِ واليَسارِ؛ ولِأنَّ المشْيَ يُؤْذِي آلَةَ المشْيِ، والصَّوْتَ يُؤْذِي آلَةَ السَّمْعِ، وآلَةُ السَّمْعِ عَلى بابِ القَلْبِ، فَإنَّ الكَلامَ يَنْتَقِلُ مِنَ السَّمْعِ إلى القَلْبِ، ولا كَذَلِكَ المشْيُ. وأمّا عَلى قَوْلِنا: الإشارَةُ بِالشَّيْءِ والصَّوْتِ إلى الأفْعالِ والأقْوالِ؛ فَلِأنَّ القَوْلَ قَبِيحُهُ أقْبَحُ مِن قَبِيحِ الفِعْلِ، وحَسَنُهُ أحْسَنُ؛ لِأنَّ اللِّسانَ تُرْجُمانُ القَلْبِ، والِاعْتِبارُ يُصَحِّحُ الدَّعْوى.

المسْألَةُ الثّانِيَةُ: كَيْفَ يُفْهَمُ كَوْنُهُ أنْكَرَ مَعَ أنَّ مَسَّ المِنشارِ بِالمِبْرَدِ وحَتَّ النُّحاسِ بِالحَدِيدِ أشَدُّ تَنْفِيرًا ؟ نَقُولُ الجَوابُ عَنْهُ مِن وجْهَيْنِ:

أحَدُهُما: أنَّ المرادَ أنَّ أنْكَرَ أصْواتِ الحَيَواناتِ صَوْتُ الحَمِيرِ فَلا يَرُدُّ ما ذَكَرْتُمْ، وما ذَكَرْتُمْ في أكْثَرِ الأمْرِ لِمَصْلَحَةٍ وعِمارَةٍ فَلا يُنْكَرُ، بِخِلافِ صَوْتِ الحَمِيرِ وهَذا، وهو الجَوابُ الثّانِي.

المسْألَةُ الثّالِثَةُ: أنْكَرُ هو أفْعَلُ التَّفْضِيلِ، فَمِن أيِّ بابٍ هو ؟ نَقُولُ: يَحْتَمِلُ أنْ يَكُونَ مِن بابِ أطْوَعَ لَهُ مِن بَنانِهِ، بِمَعْنى أشَدِّها طاعَةً، فَإنَّ أفْعَلَ لا يَجِيءُ في مَفْعَلٍ ولا في مَفْعُولٍ ولا في بابِ العُيُوبِ إلّا ما شَذَّ، كَقَوْلِهِمْ: أطْوَعُ مِن كَذا لِلتَّفْضِيلِ عَلى المطِيعِ، وأشْغَلُ مِن ذاتِ النِّحْيَيْنِ لِلتَّفْضِيلِ عَلى المشْغُولِ، وأحْمَقُ مِن فُلانٍ مِن بابِ العُيُوبِ، وعَلى هَذا فَهو في بابِ أفْعَلَ كَأشْغَلَ في بابِ مَفْعُولٍ، فَيَكُونُ لِلتَّفْضِيلِ عَلى المنْكَرِ، أوْ نَقُولُ: هو مِن بابِ أشْغَلَ مَأْخُوذًا مَن نَكِرَ الشَّيْءَ فَهو مُنْكَرٌ، وهَذا أنْكَرُ مِنهُ، وعَلى هَذا فَلَهُ مَعْنًى لَطِيفٌ، وهو أنَّ كُلَّ حَيَوانٍ قَدْ يُفْهَمُ مِن صَوْتِهِ بِأنَّهُ يَصِيحُ

مِن ثِقَلٍ أوْ تَعَبٍ كالبَعِيرِ أوْ غَيْرِ ذَلِكَ، والحِمارُ لَوْ ماتَ تَحْتَ الحِمْلِ لا يَصِيحُ، ولَوْ قُتِلَ لا يَصِيحُ، وفِي بَعْضِ أوْقاتِ عَدَمِ الحاجَةِ يَصِيحُ ويَنْهَقُ، فَصَوْتُهُ مَنكُورٌ، ويُمْكِنُ أنْ يُقالَ: هو مِن نَكِيرٍ، كَأجْدَرَ مِن جَدِيرٍ.

التحرير والتنوير — الطاهر بن عاشور (1393 هـ)

﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾]لقمان ١٩[

بَعْدَ أنْ بَيَّنَ لَهُ آدابَ حُسْنِ المعامَلَةِ مَعَ النّاسِ قَفّاها بِحُسْنِ الآدابِ في حالَتِهِ الخاصَّةِ، وتِلْكَ حالَتا المشْيِ والتَّكَلُّمِ، وهَما أظْهَرُ ما يَلُوحُ عَلى المرْءِ مِن آدابِهِ.

والقَصْدُ: الوَسَطُ العَدْلُ بَيْنَ طَرَفَيْنِ، فالقَصْدُ في المشْيِ هو أنْ يَكُونَ بَيْنَ طَرَفِ التَّبَخْتُرِ وطَرَفِ الدَّبِيبِ ويُقالُ: قَصَدَ في مَشْيِهِ. فَمَعْنى ﴿اقْصِدْ في مَشْيِكَ﴾ ارْتَكِبِ القَصْدَ.

والغَضُّ: نَقْصُ قُوَّةِ اسْتِعْمالِ الشَّيْءِ. يُقالُ: غَضَّ بَصَرَهُ، إذا خَفَضَ نَظَرَهُ فَلَمْ يُحَدِّقْ. وتَقَدَّمَ قَوْلُهُ تَعالى ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِن أبْصارِهِمْ﴾]النور: ٣٠ [في سُورَةِ النُّورِ. فَغَضُّ الصَّوْتِ: جَعْلُهُ دُونَ الجَهْرِ.

وجِيءَ بِـ (مِنَ) الدّالَّةِ عَلى التَّبْعِيضِ لِإفادَةِ أنَّهُ يَغُضُّ بَعْضَهُ، أيْ بَعْضَ جَهْرِهِ، أيْ يَنْقُصُ مِن جُهُورَتِهِ ولَكِنَّهُ لا يَبْلُغُ بِهِ إلى التَّخافُتِ والسِّرارِ.

وجُمْلَةُ ﴿إنَّ أنْكَرَ الأصْواتِ لَصَوْتُ الحَمِيرِ﴾ تَعْلِيلٌ عَلَّلَ بِهِ الأمْرَ بِالغَضِّ مِن صَوْتِهِ بِاعْتِبارِها مُتَضَمِّنَةً تَشْبِيهًا بَلِيغًا، أيْ لِأنَّ صَوْتَ الحَمِيرِ أنْكَرُ الأصْواتِ. ورَفْعُ الصَّوْتِ في الكَلامِ يُشْبِهُ نَهِيقَ الحَمِيرِ فَلَهُ حَظٌّ مِنَ النَّكارَةِ.

وأنْكَرَ: اسْمُ تَفْضِيلٍ في كَوْنِ الصَّوْتِ مَنكُورًا، فَهو تَفْضِيلٌ مُشْتَقٌّ مِنَ الفِعْلِ المَبْنِيِّ لِلْمَجْهُولِ ومِثْلُهُ سَماعِيٌّ وغَيْرُ شاذٍّ، ومِنهُ قَوْلُهم في المَثَلِ (أشْغَلُ مِن ذاتِ النَّحْيَيْنِ) أيْ أشَدُّ مَشْغُولِيَّةً مِنَ المَرْأةِ الَّتِي أُرِيدَتْ في هَذا المَثَلِ.

وإنَّما جَمَعَ الحَمِيرَ في نَظْمِ القُرْآنِ مَعَ أنَّ صَوْتَ مُفْرَدٌ ولَمْ يَقُلِ الحِمارَ لِأنَّ المعَرَّفَ بِلامِ الجِنْسِ يَسْتَوِي مُفْرَدُهُ وجَمْعُهُ. ولِذَلِكَ يُقالُ: إنَّ لامَ الجِنْسِ إذا دَخَلَتْ عَلى جَمْعٍ أبْطَلَتْ مِنهُ مَعْنى الجَمْعِيَّةِ. وإنَّما أُوثِرَ لَفْظُ الجَمْعِ لِأنَّ كَلِمَةَ الحَمِيرِ أسْعَدُ بِالفَواصِلِ لِأنَّ مِن مَحاسِنِ الفَواصِلِ والأسْجاعِ أنْ تَجْرِيَ عَلى أحْكامِ القَوافِي، والقافِيَةُ المؤَسَّسَةُ بِالواوِ أوِ الياءِ لا يَجُوزُ أنْ يَرِدَ مَعَها ألِفُ تَأْسِيسٍ فَإنَّ الفَواصِلَ المتَقَدِّمَةَ مِن قَوْلِهِ ﴿ولَقَدْ آتَيْنا لُقْمانَ الحِكْمَةَ﴾]لقمان: ١٢ [هي: حَمِيدٌ، عَظِيمٌ، المَصِيرُ، خَبِيرٌ، الأُمُورِ، فَخُورٍ، الحَمِيرِ، وفَواصِلُ القُرْآنِ تَعْتَمِدُ كَثِيرًا عَلى الحَرَكاتِ والمدُودِ والصِّيَغِ دُونَ تَماثُلِ الحُرُوفِ وبِذَلِكَ تُخالِفُ قَوافِيَ القَصائِدِ.

وهَذا وفاءٌ بِما وعَدْتُ بِهِ عِنْدَ الكَلامِ عَلى قَوْلِهِ تَعالى ﴿ولَقَدْ آتَيْنا لُقْمانَ الحِكْمَةَ﴾]لقمان: ١٢ [مِن ذِكْرِ ما انْتَهى إلَيْهِ تَتَبُّعِي لِما أُثِرَ مِن حِكْمَةِ لُقْمانَ غَيْرَ ما في هَذِهِ السُّورَةِ وقَدْ ذَكَرَ الآلُوسِيُّ في تَفْسِيرِهِ مِنها ثَمانِيًا وعِشْرِينَ حِكْمَةً وهي: قَوْلُهُ لِابْنِهِ: أيْ بُنَيَّ إنِ الدُّنْيا بَحْرٌ عَمِيقٌ، وقَدْ غَرِقَ فِيها أُناسٌ كَثِيرٌ فاجْعَلْ سَفِينَتَكَ فِيها تَقْوى اللَّهِ تَعالى، وحَشْوَها الإيمانُ، وشِراعَها التَّوَكُّلُ عَلى اللَّهِ تَعالى لَعَلَّكَ أنْ تَنْجُوَ ولا أراكَ ناجِيًا.

وقَوْلُهُ: مَن كانَ لَهُ مِن نَفْسِهِ واعِظٌ كانَ لَهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ حافِظٌ، ومَن أنْصَفَ النّاسَ مِن نَفْسِهِ زادَهُ اللَّهُ تَعالى بِذَلِكَ عِزًّا، والذُّلُّ في طاعَةِ اللَّهِ تَعالى أقْرَبُ مِنَ التَّعَزُّزِ بِالمعْصِيَةِ.

وقَوْلُهُ: ضَرْبُ الوالِدِ لِوَلَدِهِ كالسَّمادِ لِلزَّرْعِ.

وقَوْلُهُ: يا بُنَيَّ إيّاكَ والدَّيْنَ فَإنَّهُ ذُلُّ النَّهارِ وهَمُّ اللَّيْلِ.

وقَوْلُهُ: يا بُنَيَّ ارْجُ اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ رَجاءً لا يُجْرِيكَ عَلى مَعْصِيَتِهِ تَعالى، وخَفِ اللَّهَ سُبْحانَهُ خَوْفًا لا يُؤَيِّسُكَ مِن رَحْمَتِهِ تَعالى شَأْنُهُ.

وقَوْلُهُ: مَن كَذَبَ ذَهَبَ ماءُ وجْهِهِ، ومَن ساءَ خُلُقُهُ كَثُرَ غَمُّهُ، ونَقْلُ الصُّخُورِ مِن مَواضِعِها أيْسَرُ مِن إفْهامِ مَن لا يَفْهَمُ.

وقَوْلُهُ: يا بُنَيَّ حَمَلْتُ الجَنْدَلَ والحَدِيدَ وكُلَّ شَيْءٍ ثَقِيلٍ فَلَمْ أحْمِلْ شَيْئًا هو أثْقَلُ مِن جارِ السُّوءِ، وذُقْتُ المرارَ فَلَمْ أذُقْ شَيْئًا هو أمَرُّ مِنَ الفَقْرِ.

يا بُنَيَّ لا تُرْسِلْ رَسُولَكَ جاهِلًا فَإنْ لَمْ تَجِدْ حَكِيمًا فَكُنْ رَسُولَ نَفْسِكَ.

يا بُنَيَّ إيّاكَ والكَذِبَ فَإنَّهُ شَهِيٌّ كَلَحْمِ العُصْفُورِ عَمّا قَلِيلٍ يُغْلى صاحِبُهُ.

يا بُنَيَّ احْضُرِ الجَنائِزَ ولا تَحْضُرِ العُرْسَ فَإنَّ الجَنائِزَ تُذَكِّرُكَ الآخِرَةَ والعُرْسَ يُشَهِّيكَ الدُّنْيا.

يا بُنَيَّ لا تَأْكُلْ شِبَعًا عَلى شِبَعٍ فَإنَّ إلْقاءَكَ إيّاهُ لِلْكَلْبِ خَيْرٌ مِن أنْ تَأْكُلَهُ.

يا بُنَيَّ لا تَكُنْ حُلْوًا فَتُبْلَعْ ولا تَكُنْ مُرًّا فَتُلْفَظْ.

وقَوْلُهُ لِابْنِهِ: لا يَأْكُلْ طَعامَكَ إلّا الأتْقِياءُ، وشاوِرْ فِي أمْرِكَ العُلَماءَ.

وقَوْلُهُ: لا خَيْرَ لَكَ فِي أنْ تَتَعَلَّمَ ما لَمْ تَعْلَمْ ولَمّا تَعْمَلْ بِما قَدْ عَلِمْتَ فَإنَّ مَثَلَ ذَلِكَ مَثَلُ رَجُلٍ احْتَطَبَ حَطَبًا فَحَمَلَ حُزْمَةً وذَهَبَ يَحْمِلُها فَعَجَزَ عَنْها فَضَمَّ إلَيْها أُخْرى.

وقَوْلُهُ: يا بُنَيَّ إذا أرَدْتَ أنْ تُواخِيَ رَجُلًا فَأغْضِبْهُ قَبْلَ ذَلِكَ فَإنْ أنْصَفَكَ عِنْدَ غَضَبِهِ وإلّا فاحْذَرْهُ.

وقَوْلُهُ: لِتَكُنْ كَلِمَتُكَ طَيِّبَةً، ولْيَكُنْ وجْهُكَ بَسْطًا تَكُنْ أحَبَّ إلى النّاسِ مِمَّنْ يُعْطِيهِمُ العَطاءَ.

وقَوْلُهُ: يا بُنَيَّ أنْزِلْ نَفْسَكَ مِن صاحِبِكَ مَنزِلَةَ مَن لا حاجَةَ لَهُ بِكَ ولا بُدَّ لَكَ مِنهُ.

يا بُنَيَّ كُنْ كَمَن لا يَبْتَغِي مَحْمَدَةَ النّاسِ ولا يَكْسِبُ ذَمَّهم فَنَفْسُهُ مِنهُ فِي عَناءٍ والنّاسُ مِنهُ فِي راحَةٍ.

وقَوْلُهُ: يا بُنَيَّ امْتَنِعْ بِما يَخْرُجُ مِن فِيكَ فَإنَّكَ ما سَكَتَّ سالِمٌ، وإنَّما يَنْبَغِي لَكَ مِنَ القَوْلِ ما يَنْفَعُكَ.

وأنا أُقَفِّي عَلَيْها ما لَمْ يَذْكُرْهُ الآلُوسِيُّ.

فَمِن ذَلِكَ ما فِي المَوَطَّأِ فِيما جاءَ فِي طَلَبِ العِلْمِ مِن كِتابِ الجامِعِ: مالِكٌ أنَّهُ بَلَغَهُ أنَّ لُقْمانَ الحَكِيمَ أوْصى ابْنَهُ فَقالَ: يا بُنَيَّ جالِسِ العُلَماءَ وزاحِمْهم بِرُكْبَتَيْكَ فَإنَّ اللَّهَ يُحْيِي القُلُوبَ بِنُورِ العِلْمِ كَما يُحْيِي الأرْضَ المَيْتَةَ بِوابِلِ السَّماءِ.

وفِيهِ فِيما جاءَ فِي الصِّدْقِ والكَذِبِ مِن كِتابِ الجامِعِ أنَّهُ بَلَغَهُ أنَّهُ قِيلَ لِلُقْمانَ: ما بَلَغَ بِكَ ما نَرى يُرِيدُونَ الفَضْلَ فَقالَ: صِدْقُ الحَدِيثِ، وأداءُ الأمانَةِ، وتَرْكُ ما لا يَعْنِينِي.

وفِي جامِعِ المُسْتَخْرَجَةِ لِلْعُتْبِيِّ قالَ مالِكٌ: بَلَغَنِي أنَّ لُقْمانَ قالَ لِابْنِهِ: يا بُنَيَّ لِيَكُنْ أوَّلُ ما تُفِيدُ مِنَ الدُّنْيا بَعْدَ خَلِيلٍ صالِحٍ امْرَأةً صالِحَةً.

وفِي أحْكامِ القُرْآنِ لِابْنِ العَرَبِيِّ عَنْ مالِكٍ: أنَّ لُقْمانَ قالَ لِابْنِهِ: يا بُنَيَّ إنَّ النّاسَ قَدْ تَطاوَلَ عَلَيْهِمْ ما يُوعَدُونَ وهم إلى الآخِرَةِ سِراعًا يَذْهَبُونَ، وإنَّكَ قَدِ اسْتَدْبَرْتَ الدُّنْيا مُنْذُ كُنْتَ واسْتَقْبَلْتَ الآخِرَةَ، وإنَّ دارًا تَسِيرُ إلَيْها أقْرَبُ إلَيْكَ

مِن دارٍ تَخْرُجُ عَنْها. وقالَ: لَيْسَ غِنًى كَصِحَّةٍ، ولا نِعْمَةٌ كَطِيبِ نَفْسٍ، وقالَ: يا بُنَيَّ لا تُجالِسِ الفُجّارَ ولا تُماشِهِمْ، اتَّقِ أنْ يَنْزِلَ عَلَيْهِمْ عَذابٌ مِنَ السَّماءِ فَيُصِيبَكَ مَعَهم، وقالَ: يا بُنَيَّ جالِسِ العُلَماءِ وماشِهِمْ عَسى أنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمْ رَحْمَةٌ فَتُصِيبَكَ مَعَهم.

وفِي الكَشّافِ: أنَّهُ قالَ لِرَجُلٍ يَنْظُرُ إلَيْهِ: إنْ كُنْتَ تَرانِي غَلِيظَ الشَّفَتَيْنِ فَإنَّهُ يَخْرُجُ مِن بَيْنِهِما كَلامٌ رَقِيقٌ، وإنْ كُنْتَ تَرانِي أسْوَدَ فَقَلْبِي أبْيَضُ. وأنَّ مَوْلاهُ أمَرَهُ بِذَبْحِ شاةٍ وأنْ يَأْتِيَهُ بِأطْيَبِ مُضْغَتَيْنِ فَأتاهُ بِاللِّسانِ والقَلْبِ، ثُمَّ أمَرَهُ بِذَبْحِ أُخْرى وأنْ أُلْقِ مِنها أخْبَثَ مُضْغَتَيْنِ، فَألْقى اللِّسانَ والقَلْبَ؛ فَسَألَهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقالَ: هُما أطْيَبُ ما فِيها إذا طابا وأخْبَثُ ما فِيها إذا خَبُثا.

ودَخَلَ عَلى داوُدَ وهو يَسْرُدُ الدُّرُوعَ فَأرادَ أنْ يَسْألَهُ عَمّاذا يَصْنَعُ فَأدْرَكَتْهُ الحِكْمَةُ فَسَكَتَ، فَلَمّا أتَمَّها داوُدُ لَبِسَها وقالَ: نِعْمَ لَبُوسُ الحَرْبِ أنْتِ. فَقالَ لُقْمانُ: الصَّمْتُ حِكْمَةٌ وقَلِيلٌ فاعِلُهُ.

وفِي تَفْسِيرِ ابْنِ عَطِيَّةَ: قِيلَ لِلُقْمانَ: أيُّ النّاسِ شَرٌّ ؟ فَقالَ: الَّذِي لا يُبالِي أنْ يَراهُ النّاسُ سَيِّئًا أوْ مُسِيئًا.

وفِي تَفْسِيرِ القُرْطُبِيِّ: كانَ لُقْمانُ يُفْتِي قَبْلَ مَبْعَثِ داوُدَ فَلَمّا بُعِثَ داوُدُ قَطَعَ الفَتْوى. فَقِيلَ لَهُ. فَقالَ: ألا أكْتَفِي إذا كُفِيتُ. وفِيهِ: إنَّ الحاكِمَ بِأشَدِّ المَنازِلِ وكَدَرِها يَغْشاهُ المَظْلُومُ مِن كُلِّ مَكانٍ إنْ يُصِبْ فَبِالحَرِيِّ أنْ يَنْجُوَ وإنْ أخْطَأ أخْطَأ طَرِيقَ الجَنَّةِ. ومَن يَكُنْ فِي الدُّنْيا ذَلِيلًا خَيْرٌ مِن أنْ يَكُونَ شَرِيفًا. ومَن يَخْتَرِ الدُّنْيا عَلى الآخِرَةِ تَفُتْهُ الدُّنْيا ولا يُصِبِ الآخِرَةَ.

وفِي تَفْسِيرِ البَيْضاوِيِّ: أنَّ داوُدَ سَألَ لُقْمانُ: كَيْفَ أصْبَحْتَ ؟ فَقالَ: أصْبَحْتُ فِي يَدِي غَيْرِي.

وفِي دُرَّةِ التَّنْزِيلِ المَنسُوبِ لِفَخْرِ الدِّينِ الرّازِيِّ: قالَ لُقْمانُ لِابْنِهِ: إنَّ اللَّهَ رَضِيَنِي لَكَ فَلَمْ يُوصِنِي بِكَ ولَمْ يَرْضَكَ لِي فَأوْصاكَ بِي.

وفِي الشِّفاءِ لِعِياضٍ: قالَ لُقْمانُ لِابْنِهِ: إذا امْتَلَأتِ المِعِدَةُ نامَتِ الفِكْرَةُ وخَرِسَتِ الحِكْمَةُ وقَعَدَتِ الأعْضاءُ عَنِ العِبادَةِ.

وفِي كِتابِ آدابِ النِّكاحِ لِقاسِمِ بْنِ يَأْمُونَ التَّلِيدِيِّ الأخْماسِيِّ: أنَّ مِن وصِيَّةِ لُقْمانَ: يا بُنَيَّ إنَّما مَثَلُ المَرْأةِ الصّالِحَةِ كَمَثَلِ الدُّهْنِ فِي الرَّأْسِ يُلِينُ العُرُوقَ ويُحَسِّنُ الشَّعْرَ، ومَثَلُها كَمَثَلِ التّاجِ عَلى رَأْسِ المَلِكِ، ومَثَلُها كَمَثَلِ اللُّؤْلُؤِ والجَوْهَرِ لا يَدْرِي أحَدٌ ما قِيمَتُهُ.

ومَثَلُ المَرْأةِ السُّوءِ كَمَثَلِ السَّيْلِ لا يَنْتَهِي حَتّى يَبْلُغَ مُنْتَهاهُ: إذا تَكَلَّمَتْ أسْمَعَتْ، وإذا مَشَتْ أسْرَعَتْ، وإذا قَعَدَتْ رَفَعَتْ، وإذا غَضِبَتْ أسْمَعَتْ. وكُلُّ داءٍ يَبْرَأُ إلّا داءَ امْرَأةِ السُّوءِ.

يا بُنَيَّ لَأنْ تُساكِنَ الأسَدَ والأُسُودَ خَيْرٌ مِن أنْ تُساكِنَها: تَبْكِي وهي الظّالِمَةُ، وتَحْكُمُ وهي الجائِرَةُ، وتَنْطِقُ وهي الجاهِلَةُ وهي أفْعى بِلَدْغِها.

وفِي مَجْمَعِ البَيانِ لِلطَّبَرَسِيِّ: يا بُنَيَّ سافِرْ بِسَيْفِكَ وخُفِّكَ وعِمامَتِكَ وخِبائِكَ وسِقائِكَ وخُيُوطِكَ ومِخْرَزِكَ، وتَزَوَّدْ مَعَكَ مِنَ الأدْوِيَةِ ما تَنْتَفِعُ بِهِ أنْتَ ومَن مَعَكَ، وكُنْ لِأصْحابِكَ مُوافِقًا إلّا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ. يا بُنَيَّ إذا سافَرْتَ مَعَ قَوْمٍ فَأكْثِرِ اسْتِشارَتَهم فِي أمْرِكَ وأُمُورِهِمْ، وأكْثِرِ التَّبَسُّمَ فِي وُجُوهِهِمْ وكُنْ كَرِيمًا عَلى زادِكَ بَيْنَهم، فَإذا دَعَوْكَ فَأجِبْهم وإذا اسْتَعانُوا بِكَ فَأعْنِهِمْ، واسْتَعْمِلْ طُولَ الصَّمْتِ وكَثْرَةَ الصَّلاةِ، وسَخاءَ النَّفْسِ بِما مَعَكَ مِن دابَّةٍ أوْ ماءٍ أوْ زادٍ، وإذا

اسْتَشْهَدُوكَ عَلى الحَقِّ فاشْهَدْ لَهم، واجْهَدْ رَأْيَكَ لَهم إذا اسْتَشارُوكَ، ثُمَّ لا تَعْزِمْ حَتّى تَثْبُتَ وتَنْظُرَ، ولا تُحِبْ في مَشُورَةٍ حَتّى تَقُومَ فِيها وتَقْعُدَ وتَنامَ وتَأْكُلَ وتُصَلِّي وأنْتَ مُسْتَعْمِلٌ فِكْرَتَكَ وحِكْمَتَكَ في مَشُورَتِهِ، فَإنَّ مَن لَمْ يَمْحَضِ النَّصِيحَةَ مَنِ اسْتَشارَهُ سَلَبَهُ اللَّهُ رَأْيَهُ، وإذا رَأيْتَ أصْحابَكَ يَمْشُونَ فامْشِ مَعَهم، فَإذا رَأيْتَهم يَعْمَلُونَ فاعْمَلْ مَعَهم، واسْمَعْ لِمَن هو أكْبَرُ مِنكَ سِنًّا. وإذا أمَرُوكَ بِأمْرٍ وسَألُوكَ شَيْئًا فَقُلْ نَعَمْ ولا تَقُلْ لا فَإنَّ لا عِيٌّ ولُؤْمٌ، وإذا تَحَيَّرْتُمْ في الطَّرِيقِ فانْزِلُوا، وإذا شَكَكْتُمْ في القَصْدِ فَقِفُوا وتآمَرُوا، وإذا رَأيْتُمْ شَخْصًا واحِدًا فَلا تَسْألُوهُ عَنْ طَرِيقِكم ولا تَسْتَرْشِدُوهُ فَإنَّ الشَّخْصَ الواحِدَ في الفَلاةِ مُرِيبٌ لَعَلَّهُ يَكُونُ عَيْنَ اللُّصُوصِ أوْ يَكُونُ هو الشَّيْطانَ الَّذِي حَيَّرَكم. واحْذَرُوا الشَّخْصَيْنِ أيْضًا إلّا أنْ تَرَوْا ما لا أرى لِأنَّ العاقِلَ إذا أبْصَرَ بِعَيْنِهِ شَيْئًا عَرَفَ الحَقَّ مِنهُ والشّاهِدُ يَرى ما لا يَرى الغائِبُ.

يا بُنَيَّ إذا جاءَ وقْتُ الصَّلاةِ فَلا تُؤَخِّرْها لِشَيْءٍ، صَلِّها واسْتَرِحْ مِنها فَإنَّها دَيْنٌ، وصَلِّ في جَماعَةٍ ولَوْ عَلى رَأْسِ زَجٍّ. وإذا أرَدْتُمُ النُّزُولَ فَعَلَيْكم مِن بِقاعِ الأرْضِ بِأحْسَنِها لَوْنًا وألْيَنِها تُرْبَةً وأكْثَرِها عُشْبًا. وإذا نَزَلْتَ فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ أنْ تَجْلِسَ، وإذا أرَدْتَ قَضاءَ حاجَتِكَ فَأبْعِدِ المِذْهَبَ في الأرْضِ. وإذا ارْتَحَلْتَ فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ ودِّعِ الأرْضَ الَّتِي حَلَلْتَ بِها وسَلِّمْ عَلى أهْلِها فَإنَّ لِكُلِّ بُقْعَةٍ أهْلًا مِنَ المَلائِكَةِ، وإنِ اسْتَطَعْتَ أنْ لا تَأْكُلَ طَعامًا حَتّى تَبْتَدِئَ فَتَتَصَدَّقَ مِنهُ فافْعَلْ. وعَلَيْكَ بِقِراءَةِ كِتابِ اللَّهِ (لَعَلَّهُ يَعْنِي الزَّبُورَ) ما دُمْتَ راكِبًا، وعَلَيْكَ بِالتَّسْبِيحِ ما دُمْتَ عامِلًا عَمَلًا، وعَلَيْكَ بِالدُّعاءِ ما دُمْتَ خالِيًا. وإيّاكَ والسَّيْرَ في أوَّلِ اللَّيْلِ إلى آخِرِهِ. وإيّاكَ ورَفْعَ الصَّوْتِ في مَسِيرِكَ.

فَقَدَ اسْتَقْصَيْنا ما وجَدْنا مِن حِكْمَةِ لُقْمانَ مِمّا يُقارِبُ سَبْعِينَ حِكْمَةً.

الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: الزمخشري(538 ه)

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ (١٩)﴾]لقمان ١٨-١٩[

تصاعر، وتصعر: بالتشديد والتخفيف. يقال: أصعر خدّه، وصعره، وصاعره: كقولك أعلاه وعلاه وعالاه: بمعنى. والصعر والصيد: داء يصيب البعير يلوى منه عنقه. والمعنى: أقبل على الناس بوجهك تواضعا، ولا تولهم شق وجهك وصفحته، كما يفعل المتكبرون. أراد:

وَلا تَمْشِ تمرح مَرَحاً أو أوقع المصدر موقع الحال بمعنى مرحا. ويجوز أن يريد: ولا تمش لأجل المرح والأشر، أى لا يكن غرضك في المشي البطالة والأشر كما يمشى كثير من الناس لذلك، لا لكفاية مهم دينى أو دنيوى. ونحوه قوله تعالى وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بَطَراً وَرِئاءَ النَّاسِ. والمختال: مقابل للماشي مرحا، وكذلك الفخور للمصعر خدّه كبرا وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ واعدل فيه حتى يكون مشيا بين مشيين: لا تدب دبيب المتماوتين، ولا تثب وثيب الشطار. قال رسول الله ﷺ »سرعة المشي نذهب بهاء المؤمن)«١ (وأما قول عائشة في عمر رضى الله عنهما »كان إذا مشى أسرع)«٢ (فإنما أرادت السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت. وقرئ: وأقصد، بقطع الهمزة، أى: سدّد في مشيك من أقصد الرامي إذا سدّد سهمه نحو الرمية وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ وانقص منه واقصر، من قولك: فلان يغض من فلان إذا قصر به ووضع منه أَنْكَرَ الْأَصْواتِ أوحشها، من قولك: شيء نكر، إذا أنكرته النفوس واستوحشت منه ونفرت. والحمار مثل في الذم البليغ والشتيمة، وكذلك نهاقه. ومن استفحاشهم لذكره مجردا وتفاديهم من اسمه: أنهم يكنون عنه ويرغبون عن

التصريح به، فيقولون: الطويل الأذنين، كما يكنى عن الأشياء المستقذرة: وقد عدّ في مساوي الآداب: أن يجرى ذكر الحمار في مجلس قوم من أولى المروءة. ومن العرب من لا يركب الحمار استنكافا وإن بلغت منه الرجلة)٣ (، فتشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير، وتمثيل أصواتهم بالنهاق، تم إخلاء الكلام من لفظ التشبيه وإخراجه مخرج الاستعارة- وإن جعلوا حميرا وصوتهم نهاقا- ومبالغة شديدة في الذم والتهجين وإفراط في التثبيط عن رفع الصوت والترغيب عنه. وتنبيه على أنه من كراهة الله بمكان. فإن قلت: لم وحد صوت الحمير ولم يجمع؟ قلت: ليس المراد أن يذكر صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس حتى يجمع، وإنما المراد أن كل جنس من الحيوان الناطق له صوت، وأنكر أصوات هذه الأجناس صوت هذا الجنس، فوجب توحيده .

)١ (جاء من حديث أبي هريرة وأبي سعيد وابن عمر، وأخرجه ابن عدى من رواية عمار بن مطرد وهو لتروك، وقد تابعه الوليد بن سلمة وهو أو هي منه، لكنه قال: عن ابن أبي ذئب عن المغيرة عن أبي سعيد والوليد بن سلمة. وفيه إسناد آخر أخرجه ابن عدى من روايته عن عمرو بن صهبان عن نافع عن ابن عمر، وأخرجه أبو نعيم في الحلية من طريق أبي معشر عن سعيد عن أبي هريرة وإسناده ضعيف أيضا)٢ (ذكره ابن الأثير في النهاية، قلت: لعله أخذه عن الفائق، وفي الطبقات لابن سعد من رواية سليمان ابن أبي حثمة قال قالت الشفاء بنت عبد الله، وهي أم سليمان: كان عمر إذا مشى ... فذكره) .٣ (قوله »منه الرجلة «أى: المشي برجله، يعنى: وإن أتعبه المشي وعدم الركوب. وفي الصحاح »الرجل «بالتحريك: مصدر قولك: رجل- بالكسر- أى: بقي راجلا.

المعالجة:

- استخرج وجه الإشكال في الآية.
- حدّد الآراء المختلفة في تفسير الإشكال أو الإشكالات الموجودة حسب كلّ مفسّر.
- قدّر بالأدلّة مَن مِن المفسّرين الذي حقّق نموّا معرفيّا أكبر من غيره.
- سجّل ملاحظاتك الخاصّة.

اكتب التفسير الأمثل للإشكال الموجود في الآية.

أ.د. الجمعي شبايكي
أستاذ مادة التفسير وعلوم القرآن